الفصل الأول

محمد إقبال.. شاعر الرسالة الإسلامية

obeikandl.com

obeikandl.com

محمد إقبال: شاعر الرسالة الإسلامية[١]

أولاً: حياته ونشأته وأخلاقه وصفاته:

١ - حياته:

ولد شاعر الإسلام محمد إقبال في "سيالكوت" إحدى مدن البنجاب عام ١٢٦٤هـ (١٨٧٧م)[٢] من أسرة برهمية الأصل كانت تسكن في كشمير، وقد أسلم جده قبل قرنين من الزمان، وعرفت أسرته بالصلاح والتقوى، وعليها نشأ وتربى شاعرنا العظيم.

تلقى تعليمه الابتدائي في بلده، وقد اجتاز هذه المرحلة بتفوق دلّ على ذكائه المبكر، ثم التحق بكلية بلده، التي تعرف فيها على أستاذه المربي "ميرحسن" الذي كان له أكبر الأثر في حياته الثقافية، إذ غرس الثقافة الإسلامية في قلبه، وبقي إقبال يذكره طوال أيام حياته، ويكمل إقبال دراسته الجامعية في كلية الحكومة بمدينة لاهور، فيدرس فيها الفلسفة واللغة العربية والإنجليزية، وينال منها شهادة (B.A)[٣] بامتياز، وفي لاهور تعرف إقبال على الأستاذ الإنكليزي الشهير «سير توماس أرنولد»[٤] ثم

---

(١) أطلق على إقبال هذا اللقب الأديب أحمد حسن الزيات، في مقال له في مجلة الرسالة المصرية.

(٢) ارجع إلى " روائع إقبال " للعلامة أبي الحسن الندوي – ص ٢٧.

(٣) شهادة (B.A) تعادل الليسانس أو البكالوريوس في البلاد العربية.

(٤) مستشرق إنكليزي، اشتغل بالتدريس في كلية عليكرة بالهند، ثم أستاذاً للفلسفة في كلية لاهور، وعميد قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات بلندن، وكان عالماً واسع الاطلاع على الثقافة الإسلامية، ومن مؤلفاته: الدعوة إلى الإسلام.

obeikandi.com

واصل دراسته وحصل على الماجستير (MA) في الفلسفة بامتياز، فعين أستاذاً للتاريخ والفلسفة في الكلية الشرقية بلاهور، ثم اشتغل أستاذاً للفلسفة واللغة الإنكليزية بكلية الحكومة التي تخرج منها.

في فترة وجود إقبال في لاهور نظم إقبال قصيدته الأولى "جبل همالة" ونشرت في مجلة " مخزن " عام (١٩٠١م)؛ ثم نظم عدة قصائد جميلة في هذه الفترة جلبت إليه الأنظار، وكان لها دوي كبير في الأوساط الأدبية والفكرية[١].

في عام ١٩٠٥م سافر محمد إقبال إلى لندن، حيث التحق بجامعة "كمبردج" وحصل على شهادة عالية في الفلسفة والاقتصاد، ثم اتجه نحو ألمانيا فالتحق بجامعة " ميونخ " حيث نال درجة الدكتوراه في الفلسفة في أطروحته " تطور الفلسفة الميتافيزيقية في بلاد إيران "، ثم رجع إلى لندن ليدرس القانون ويجتاز امتحان المحاماة، ويلتحق بمدرسة علم الاقتصاد والسياسة. ومن الجدير بالذكر أن محمد إقبال بذهابه إلى الغرب للدراسة، لم ينس دينه وإسلامه، ولم يتأثر بالفلسفة الغربية كما يحلو لبعض أعداء الإسلام أن يشيع، بل ظل أصيلاً في فكره وأدبه وشعره.. وسنبين ذلك في هذا البحث.. خلال دراستنا لشخصية محمد إقبال ومصادر ثقافته.

ومحمد إقبال وهو يعيش في الغرب، ظل الإسلام، وحرقته على واقع المسلمين هاجسه الأول، ومركز تفكيره، ومضمون شعره، وموضوع محاضراته التي كان يلقيها في لندن.. وبلغ انفعاله الإسلامي أوجه خلال عودته إلى بلاده، وعند مروره بجزيرة «صقلية»[٢] التي كانت يوما ما

(١) ارجع إلى "روائع إقبال" للندوي. ص ٢١ وما بعدها.

(٢) صقلية: جزيرة في البحر الأبيض المتوسط – مقابل الساحل الإيطالي.

جزيرة إسلامية، بكى إقبال متأثراً بفقدانها والتحاقها بالغرب، وقال قصيدة افتتحها بقوله: «ابك أيها الرجل دماً لا دمعاً فهذا مدفن الحضارة الحجازية».

وعاد إقبال إلى بلاده عام ١٩٠٨م بعد أن درس مكونات الفلسفة الغربية وأصولها اليونانية، وتعمق فيها، فضلاً عن دراسة القانون، واشتغل بالمحاماة في لاهور حتى عام ١٩٣٤م، أي قبل وفاته بأربع سنوات.

ومحمد إقبال لم يعط كل وقته للمحاماة، إذ إن قرض الشعر، وإلقاء المحاضرات عن الإسلام والفكر الإسلامي، والتأليف، كان يقضي فيها جل وقته، وهذا هو دأب الرجال العاملين للإسلام، فهم يعملون بما يقيم أودهم في الحياة، أما حياتهم كلها فهي للدعوة والجهاد في سبيل الله، بالقلم واللسان إن توقف جهاد السيف والسنان.

وقد كان إقبال يحضر حفل جمعية حماية الإسلام، وينشد فيها قصائده، ودعي إلى إلقاء محاضرات في الفكر الإسلامي عام ١٩٢٨م. وقد جمعت هذه المحاضرات ونشرت بعنوان « تجديد التفكير الديني في الإسلام»[١] وسنتعرض إلى هذه المحاضرات خلال بحثنا هذا.

وفي عام ١٩٣٠م انتخب إقبال رئيساً لحفلة الرابطة الإسلامية السنوية في " الله آباد " وعرض في خطبته فكرة باكستان لأول مرة، وانتخب عضواً في المجلس التشريعي في بنجاب، ومثل المسلمين في مؤتمر المائدة المستديرة الثاني عام ١٩٣٠ / ١٩٣١ م في لندن.

---

(١) تجديد التفكر الديني في الإسلامي لمحمد إقبال – ترجمه إلى العربية الأستاذ عباس محمود بهذا العنوان، ونشر في القاهرة عام ١٩٥٥م. (وهو ليس عباس محمود العقاد الأديب المشهور).

obeikandl.com

وبعد عودته من مؤتمر المائدة المستديرة، اشترك في ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣١م في المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس، وألقى محاضرة هناك، وبعد ذلك مر على مصر، وألقى محاضرة في دار الشبان المسلمين بالقاهرة عام ١٩٣١م.

وفي عام ١٩٣٢م لبى دعوة السلطان الشهيد "نادر خان" ملك أفغانستان في بعثة تتألف من "سرراس مسعود" رئيس جامعة عليكرة الإسلامية، والأستاذ الكبير السيد "سليمان الندوي"، وخلال هذه الدعوة زار قبر السلطان "محمود الغزنوي" فاتح الهند، وقال قصيدته "غزنين"، وبقي إقبال عالماً، عاملاً، مجاهداً بقلمه ولسانه في سبيل الله إلى آخر لحظة من حياته... حتى توفاه الله والابتسامة الراضية على شفتيه، فها هو ذا يستقبل الموت بشجاعة نادرة؛ شجاعة المؤمنين الصادقين قائلاً حسب ترجمة العلامة الندوي نثراً:

«أنا لا أخشى الموت، أنا مسلم، ومن شأن المسلم أن يستقبل الموت مبتسماً».[١]

وترجم هذه الكلمات العظيمة شعراً الصاوي شعلان:[٢]

يتلقى الرّدى بصبرٍ جميلٍ ... وابتسامُ الرضى على شفتيهِ

لا أرى مؤمناً يخالجُهُ الخو ... فُ إذا أقبل القضاءُ عليهِ

آيةُ المؤمنِ أن يلقى الردى ... باسمَ الثغرِ سروراً ورضى

---

(١) روائع إقبال – ص ٣٠.

(٢) الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي – لمحمد حسن الأعظمي والصاوي شعلان – ص ٨٣.

obeikandl.com

وأنشد إقبال قبل وفاته بعشر دقائق هذين البيتين المعبرين عن عميق حبه للحجاز حيث عاش الرسول ﷺ وشوقه إليها، وهو طالما تغنى بها، وهام بحبها، ولم يرزق زيارتها.. يقول إقبال حسب ترجمة الصاوي شعلان[١]

نغماتٌ مضينَ لي هلْ تعودُ ونسيمٌ من الحجازِ سعيدُ

أَذنتْ عيشتي بوَشْكِ رحيل هل لعلمِ الأسرارِ قلبٌ جديدُ

وتمضي اللحظات... ويبقى الشعر عند إقبال هاجسه الأول والأخير، والمعبر الحقيقي عن قلبه وعقله، وجميع معارفه وأسراره، فها هو ذا ينشد قبل وفاته مباشرة بيتين من الشعر، يحتاجان منا إلى وقفة مع إقبال المؤمن الصادق، وقد ملأ الأمل قلبه بدخول الجنة التي وعد الله المتقين بها، ولا ينسى إقبال في هذه اللحظات الأخيرة من حياته المسلمين في الهند، وخضوعهم للاستعمار، وفقدانهم حريتهم، فيحضهم على الجهاد في سبيل الله.. ويدعوهم إلى عدم الحزن لأن الجنة أعدت للشهداء والصالحين، وهذان البيتان حسب ترجمة عزام نثراً هي:

قد أُعدت جنة لأرباب الهمم، وجنة أخرى لعباد الحرم، فقل للمسلم الهندي لا تحزن، فكذلك للمجاهدين في سبيل الله جنة.

وانتقل محمد إقبال إلى الرفيق الأعلى، وعلى فمه ابتسامة الرضى والاطمئنان في ٢١ نيسان (أبريل) ١٩٣٨م.

(١) المصدر السابق، ص٨٣.

obeikandi.com

٢ – أخلاق إقبال وتربيته:

لقد أدبه والده الشيخ الزاهد فأحسن أدبه، ورباه منذ نعومة أظفاره فأحسن تربيته، رباه على الإيمان العميق بالله، والحب لرسوله ﷺ وأدبه بآداب الإسلام الأخلاقية من حب وعطف وحنان، وتواضع، وتعفف وكرم.. وذلك من خلال دروس عملية في الحياة.. ففي واقعة حدثت له في صغره يرويها لنا إقبال في ديوانه " أسرار الذات " بين لنا فيها كيف أثرت هذه الواقعة في قلبه الصغير، وملأته بالعطف على الفقراء والمساكين.. ويخلص فيها إلى أن حسن سيرة الأمة هو في التأدب بالآداب المحمدية، يقول إقبال حسب ترجمة عزام شعراً:[١]

سائلٌ مثلَ قضاءٍ مبرمِ ... صاحَ بالبابِ بصوتٍ مبرمِ[٢]

بالعصا صِلْتُ عليهِ غضبا ... فهوى من يده ما قشبا[٣]

إن هذا العقل في شرخ الشبابْ ... لا يبالي بضلال وصوابْ

ورأى الوالد فعلي فنفرْ ... وذوى في وجههِ روضُ الزهرْ

آهةٌ في فمهِ تلتهبُ ... قلبُهُ في صدرهِ يضطربُ

كوكبٌ في عينهِ قد ومضا ... نوَّرَ الهدبَ قليلاً ومضى[٤]

---

(١) ارجع إلى ديوان «الأسرار والرموز" ترجمة عبد الوهاب عزام (ص١١٨) – نشر دار المعارف بمصر عام ١٩٥٥م. (والدكتور عزام كاتب أديب مصري، عمل سفيراً لبلاده في باكستان، ويعد أول من عَرَّف بإقبال في العالم العربي، وترجم بعض دواوينه).

(٢) مبرم: ممل.

(٣) ما قشبا: ما جمع وكسب.

(٤) يعني دمعت عينه، وعلق الدمع بأهدابه ثم سقط.

obeikandl.com

روحي الفاضلُ في الجسم ارتعدْ ... ومضى الصبرُ وخلاني الجلدْ[١]

مثل فرخٍ في الخريف انتفضا ... من رياحِ الليلِ في العشِّ قضى

قال لي الوالدُ: يومَ المحشرِ ... تلتقي أمةُ خيرِ البشرِ

الغزاةُ الغرُّ منْ أمتهِ ... وأولو الميراثِ من حكمتهِ

أيها الحائرُ في ذا الموكبِ ... ما جوابي حين يلحاني النّبي[٢]

قد حباكَ الحقُّ طفلاً مسلما ... لم تنله من كتابي منعما

هينُ الأشياءِ قد شقَّ عليْكْ ... لم يصرْ ذا الطينُ إنساناً لديكْ[٣]

وأنا في العَتْبِ من خيرِ الرسُلْ ... بين خوفٍ ورجاءٍ وخجلْ

فكّرنْ في الأمرِ واذكرْ يا بُنيّ ... أمةَ المختارِ إذ ترنو إليّ[٤]

لحيتي البيضاءَ في الحشرِ انظرِ ... رِعْدتي في الخوف والحزنِ اذكرِ

لا تزد عبءَ أبيكَ الوهنِ ... عند مولاي غداً لا تُخْزِني

أنتَ كُمٌّ في فروعِ المصطفى ... فتفتحْ في ربيعِ المصطفى[٥]

نظرة من روضهِ فالتمسِ ... وسنا من خُلْقِهِ فاقتبسِ[٦]

---

(١) لم يبق عندي صبر ولا قوة.

(٢) يلحاني النبي: يلومني النبي على هذا المسلك.

(٣) هذا قول النبي لوالد إقبال في المحشر.

(٤) ترنو:تنظر.

(٥) كم: برعم الزهرة الذي لم يتفتح بعد.

(٦) سنا: ضوء البرق.

obeikandi.com

ويتأثر إقبال من كلام والده، فيتم هذه القصيدة بأبيات كثيرة يبين فيها أن المسلم كله رأفة ورحمة؛ في قوله وعمله وسلوكه في الحياة، وهذه كلها مقتبسة من أخلاق المصطفى ﷺ:

فطرة المسلم طراً رأفةٌ قولهُ والفعل كلٌّ رحمةُ
العظيمُ الخُلْقِ مَنْ شقَّ القمرْ رحمةٌ عمَّتْ ونورٌ للبشرْ[١]

هذه الواقعة في صغر إقبال، وتوجيهات الأب العطوف الوجلِ من السؤال يوم القيامة، لولده بالتأدب بآداب الرسول ﷺ والتخلق بأخلاقه، والسير على نهجه في الحياة، هذه الواقعة أثرت فيه تأثيراً كبيراً، بحيث بقي يذكرها طوال حياته، وخلدها في شعره، وجعلها جزءاً من فلسفته الأخلاقية المبنية على الأخلاق المحمدية، التي هي أخلاق القرآن، وعائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن»[٢].

ومن أخلاق إقبال ما وصفه به صديقه الأستاذ إحسان حقي الشامي[٣] بقوله: «كان محمد إقبال لطيف المعشر، متواضعاً، أنيساً، هادئاً، قليل الكلام، وإذا تكلم تكلم بهدوء وبصوت منخفض، ولم أره في يوم من الأيام ثائراً أو غاضباً، مهما كانت الأحوال، بل كان يتلقى كل شيء وكأنه عادي، لا يمكن أن يكون غير ما كان، وكان الداخل عليه إذا كان لا يعرفه لا يميزه عن غيره من جلسائه بشيء، لما كان يتحلى به من بساطة وهدوء».[٤]

(١) ديوان الأسرار والرموز – تعريب عزام – ص ١٢٠.

(٢) رواه مسلم.

(٣) إحسان حقي: كاتب إسلامي من سورية، عاش فترة طويلة في باكستان.

(٤) الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي – للأعظمي والشعلان – ص ١٣٧.

obeikandl.com

وكان إقبال رحمه الله، فضلا عن تواضعه، زاهداً، غير مقبل على الدنيا، ولا تهمه المناصب، ولو طلبها لوصل فيها إلى أعلى الرُتب.

وكان عمله بالمحاماة، ولا يأخذ أجراً غالياً على مرافعاته. وكان لا يقبل المساعدة من أحد حتى إنه رفض مساعدة شهرية من أغاخان تقدر بـ(٥٠٠ روبية) معتذراً بعدم حاجته إليها.

هذه الأنفة من قبول المساعدة من أحد، إلا الله، من شيمة إقبال، وإليها يدعو كل مسلم، يقول إقبال:

ليس غيرُ الله يرجو المسلمُ ... وهو للناس جميعاً سلَّمُ

لا تبثنَّ شكاةً أحدا ... لا تمدَّن إلى الخلقِ يدا

بالشعيرِ اقنعْ تُلَقَّبْ حيدرا ... «مرحباً» فاقتله وافتحْ «خيبرا»[١]

لا ترمْ رزقَ لئيمٍ ينغِصُ ... يوسفٌ أنتَ فأنّى ترخصُ[٢]

خفف الزادَ، طريقٌ وعرُ ... عشْ ومتْ حُرّاً عداكَ الغرَرُ

اتَّخِذْ «أَقْلِلْ من الدنيا» الشعارْ ... «فتعشْ حرّاً» بها كل الفخار[٣]

وهكذا فإن إقبالاً كان عالماً، لا يكتفي بالكلام، وسلوكه لا يتناقض مع مبادئه التي يؤمن بها، وعاش كأنه بقية من السلف الذين عاشوا لدينهم، ولم تغرهم الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها.

---

(١) مرحب: أحد رؤساء اليهود في خيبر، قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فتح خيبر. حيدر: يقصد علياً رضي الله عنه. ومعنى حيدرة في اللغة: الأسد.

(٢) إشارة إلى يوسف عليه السلام الذي ترفع عن المناصب والمال في سبيل إيمانه ودينه.

(٣) إشارة إلى ما يروى عن عمر رضي الله عنه قوله: أقلل من الدنيا تعش حراً.

obeikandl.com

٣- إيمان إقبال:

الإيمان أصل فلسفة إقبال، ومصدر الحكمة في شعره، وأساس حركته وجهاده بالقلم واللسان. لذلك حق له أن يكون (شاعر الرسالة الإسلامية)[١] في العصر الحديث، ولكن ما دليل إيمان إقبال؟ وما هو الميزان الذي نزن به إيمان إقبال؟ الميزان في قول الرسول ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما». الحديث[٢].

أما حب إقبال لله تعالى فنجده في إيمانه العميق، ودعوته إلى التوحيد الخالص، والعمل والجهاد في سبيل رفعة الإسلام، والنهوض به بعد الكبوة الطويلة. وإعادة مجد الإسلام كما كان، ولا يكون ذلك إلا بحفظ التوحيد ونشره. يقول إقبال[٣]:

كلِمةُ التوحيدِ منكَ المقصدُ ... أنتَ للتكبيرِ فيها ترصدُ[٤]

الجهادُ المرُّ حلفُ المسلمِ ... أو يدويّ الحقُّ بين الأممِ

سيفُ (لا معبودَ إلا اللهُ) خُذْ ... وبهِ الأصنامَ هذي فاجتذذْ[٥]

---

(١) يقول أحمد حسن الزيات الأديب المصري، وصاحب مجلة الرسالة الأدبية: إذا كان حسان شاعر الرسول ﷺ، فإقبال شاعر الرسالة الإسلامية (انظر محمد إقبال، لصفوة من كتاب مصر – نشر السفارة الباكستانية في القاهرة عام ١٩٦٥م).

(٢) رواه البخاري ومسلم – باب الإيمان – وتتمة الحديث: «ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار».

(٣) ديوان الأسرار والرموز (مرجع سابق) – ص ١٢٥.

(٤) فيها: أي في الدنيا.

(٥) يعنى بسيف التوحيد كسر الأصنام.

وفي ديوان الأسرار والرموز (أسرار خودي ورموز بي خودي) قصائد كثيرة في التوحيد، منها قصيدة طويلة في تفسير سورة الإخلاص مطلعها[١]:

ظهر الصدِّيق لي في الحلم مزهراً منه ترابُ القدمِ

«وقد كان شعره في النبي الكريم ﷺ من أبلغ أشعاره وأقواها، وكان حشاشة نفسه وعصارة عمله وتجاربه، وكان تصويراً لعصره وتقريراً عن أمته وتعبيراً عن عواطفه»[٢].

وفي ديوانه المذكور آنفاً يبلغ حب إقبال للنبي ﷺ مبلغاً يجعله أساس حياة الأمة الإسلامية، يقول إقبال:

«إن قلب المسلم عامر بحب المصطفى ﷺ، وهو أصل شرفنا، ومصدر فخرنا في هذا العالم، إن هذا السيد الذي نام عبيده على أسرة الملوك، كان يبيت الليالي لا يكتحل بنوم، لقد لبث في غار حراء ليالي ذوات العدد، فكان أن وجدت أمة، ووجد دستور، ووجدت دولة. إذا كان في الصلاة فعيناه تهملان دمعاً، وإذا كان في الحرب فسيفه يقطر دماً. لقد فتح باب الدنيا بمفتاح الدين، بأبي هو وأمي، لم تلد مثله أم، ولم تنجب مثله الإنسانية، افتتح في العالم دوراً جديداً، وأطل فجراً جديداً، كان يساوي في نظرته الرفيع والوضيع، ويأكل مع مولاه على خوان واحد. جاءته بنت حاتم أسيرة مقيدة، سافرة الوجه، خجلة مطرقة رأسها، فاستحيا النبي ﷺ وألقى عليها رداءه[٣].

---

(١) ديوان الأسرار والرموز (مرجع سابق) – ص ٤٠.

(٢) روائع إقبال للندوي – ص ١٧٣.

(٣) المرجع السابق – ص ٣٦.

obeikandi.com

وقد بقي قلب إقبال مفعماً بحب المصطفى ﷺ حتى آخر حياته فصار لا يذكره إلا وتدمع عيناه، ويخفق قلبه، وتهفو نفسه إلى أرض الحبيب، إلى الحجاز وإلى المدينة المنورة حيث قبره ﷺ».

وإيمان إقبال كان حصنه المنيع من فساد الغرب ومغرياته، وقد عاش في كنفه مدة من الزمن. وها هو ذا إقبال يصف حاله في الغرب... "لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يبهر لبي، ويغشي بصري، وذلك لأني اكتحلت بإثمد المدينة". ويقول أيضاً:

«مكثت في أتون التعليم الغربي، وخرجت كما خرج إبراهيم من نار نمرود." ويقول أيضاً:

«لم يزل ولا يزال فراعنة العصر يرصدونني ويكمنون لي، ولكني لا أخافهم، فإني أحمل اليد البيضاء. إن الرجل إذا رزق الحب الصادق عرف نفسه واحتفظ بكرامته، واستغنى عن الملوك والسلاطين، لا تعجبوا إذا اقتنصت النجوم، وانقادت لي الصعاب، فإني من عبيد ذلك السيد العظيم الذي تشرفت بوطأته الحصباء، فصارت أعلى قدراً من النجوم، وجرى في أثره الغبار فصار أعبق من العبير»[1].

هذا هو حب إقبال لله عز وجل ولرسوله ﷺ، الذي انعكس على شعره فجعله مملوءاً بالعاطفة الجياشة، والإيمان العميق، وجعله كله حرقة على واقع الإسلام والمسلمين، وتخلفهم... مادياً ومعنوياً، وطغيان المدنية الغربية عليهم... وحرقة إقبال أيضاً على واقع الشباب المسلم، وانصرافهم عن العمل والثورة ضد الظلم والاستعمار، إلى اللهو وتقليد الغرب الذي هو أساس تخلف العالم الإسلامي.

(١) روائع إقبال للندوي – ص ٣٥.

obeikandl.com

وها هوذا يدعو الله عز وجل أن يمنح حرقته الشباب، ونور بصيرته، وهو في الوقت نفسه يدعو الله أن يعطيه حرقة الأسلاف المجاهدين فهو غير راضٍ عن حاله ويطلب المزيد، يقول في ديوان أرمغان حجاز " هدية الحجاز " حسب ترجمة سمير عبد الحميد نثراً:[١]

أعط آهتي السحرية للشباب،

ثم أعط صغار الشاهين الريش والأجنحة.

يا إلهي ليس لي إلا رغبة واحدة،

أن تعطي الجميع نور بصري.

أعطني الحرقة الداخلية لأسلافنا،

واجعلني شريكاً في زمرة «لا يحزنون»[٢]

إنني قد أمسكت لجام العقل.

يا مولاي أعطني جنون الحب.

وإن حرقة إقبال وحساسيته الإيمانية المرهفة جعلت حياته مملوءة بالآلام المتواصلة، يقول حسب ترجمة الأعظمي والشعلان:[٣]

دنياي آلامٌ تذيب حشاشتي ... لا تمنعوني أن أبلَّ جروحي

إني سأوقدُ في القلوب شموعَها ... وأزيدُ شعلتها بجذوة روحي

---

(١) إقبال وديوان أرمغان حجاز – عربه نثراً د. سمير عبد الحميد إبراهيم، ص ١٢٢.

(٢) يشير إلى الآية الكريمة: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (يونس).

(٣) الأعلام الخمسة (مرجع سابق) – ص ٣٨.

obeikandl.com

هـذا هو إيمان إقبـال، وليت إيمان المسـلمين كهذا الإيمـان، إذاً لتغير حالهم إلى أحسـن حال، وواقعهم إلى واقع أفضـل. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد:١١).

٤ – شجاعة إقبال:

إن إيمان إقبال أثمر شـجاعة نادرة، اتصف بها طوال حياته، فهو يقول رأيه بكل شـجاعة، ولا يخـاف في الله لومة لائم، لذلك عاش عزيز النفس، أبياً. وفي معنى أن الإيمان يثمر العزة والشجاعة يقول إقبال:

حينـما آمنـت بـاللهِ الأحَـدْ لم أذلّ النفسَ يومـا لأحَـدْ[١]

ولم يخشـ إقبال أحداً إلا الله، لأن الإحيـاء والإماتة بيده، لا بيد غيره؛ لذلك لم يذل ولم يخضع لأحد في حياته، يقول إقبال:

أنـا في رمـالِ البيدِ كنزٌ مختفٍ حجبتْ نُضاري هذه الصحراءُ

لم أَحْنِ رأسـي خاشعاً إلا لمَنْ بيمينهِ الإحـيـاءُ والإفنـاءُ[٢]

وبالإيمـان تبنـى العزة والكرامـة، ويبعد الخوف عن القلوب، يقول إقبال:

نحـن بـالإيمـان نبـني عـزَّنـا لانبالي الهولَ، لانخشى الصعابا

وإذا البـاغـي رمـى في غرسِـنا جذوةَ الظلمِ جعلناهـا تراباً[٣]

ويصـور إقبـال نفسية الشجـاع والجبـان بصـورة معبـرة وواقعية، فيقول:

---

(١) المرجع السابق – ص ٤١.

(٢) المرجع السابق – ص ٣٧.

(٣) المرجع السابق – ص ٧٩.

إن الشجاعَ يخوضُ البحرَ مقتحماً كأنما الموجُ أزهارٌ وأرواحُ

وموجةُ النهرِ في عينِ الجبانِ بها غولٌ وحوتٌ وتنينٌ وتمساحُ[١]

ولو أحصينا ما قال إقبال في الشجاعة والإرادة القوية، وما قاله في الجبن والخور والضعف، لوجدنا الكثير من هذا، إذ إن الشجاعة جزء من فلسفة إقبال الذاتية، فبناء الذات – عنده لا يكون إلا بالإرادة والعزيمة والشجاعة، وما تراجع المسلمون عن عزتهم وقوتهم إلا بسبب فقدان ذواتهم وشجاعتهم، وحلول الوهن في قلوبهم، الذي هو حب الدنيا وكراهية الموت كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ[٢].

٥- إنسانية إقبال:

«المسلم الرباني ليس بشرقي ولا غربي. ليس وطني دلهي ولا أصفهان ولا سمرقند، إنما وطني العالم كله».[٣]

قول إقبال هذا، يعبر عن شخصيته العالمية، الإنسانية التي لا يحدها جنس ولا وطن، وإنما أرض الله كلها وطنه. وهذا ما عبر عنه أيضاً على لسان طارق بن زياد[٤] عندما نزل على أرض الأندلس:

---

(١) المرجع السابق – ص ٨٢. أرواح: ج ريح. الغول: حيوان خرافي مخيف. التنين: حيوان ضخم من حيوانات التاريخ.

(٢) قال رسول الله ﷺ يصف حال المسلمين، وهو ينطبق على واقعهم اليوم: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصعة. قالوا: أو من قلة نحن يا رسول الله؟ قال: لا، بل كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولَينزعن المهابة منكم. وليقذفن في قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت" رواه أحمد وأبو داود.

(٣) روائع إقبال للندوي – ص ٨٩.

(٤) طارق بن زياد. فاتح الأندلس عام ٧١١م، توفي رحمه الله سنة ٧٢٠م.

obeikandl.com

«لما نزل طارق بالجزيرة الخضراء، أمر بالسفن فأحرقت، فجاءه رجال من الجيش ولاموه على فعله وقالوا له: لقد قطعت بنا الحبال فكيف نرجع إلى بلادنا، فوضع طارق يده على السيف وقال: أنا لا أفكر في الرجوع، وسنبقى هنا ونتخذه وطناً، فإن كل ما كان لله من أرض وبلاد، وطن لنا، لا فرق في ذلك بين العجم والعرب، والشرق والغرب[١].

وإنسانية إقبال لا تتعارض مع حبه لوطنه وبلاده، إذ إن الإنسان متعلق بأرضه التي ولد وترعرع عليها، وبلاده التي عاش في كنفها، فحب الوطن فطري في الإنسان، إلا أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ليست لقوم دون قوم، والأخوة الإسلامية أخوة لا تحدها الأوطان والدول، لذلك فإن إقبالاً من هذا المنطلق يعبر عن حبه الشامل للإنسانية، التي يسعى لخيرها جمعاء، وهديها إلى طريق الحق.

فالإسلام صاغ إقبالاً فكراً وقلباً صياغة عميقة، يقول إقبال:

أنا أعجمي الدَّنِّ لكنّ خمرتي صنعُ الحجازِ وكرمِها الفينانِ

إن كان لي نغمُ الهنودِ ولحنُهم لكنَّ هذا الصوتَ من عدنانِ[٢]

فإقبال كان يهتم بوطنه ويسعى ليل نهار لتحريره، واستقلاله، ويعد الأب الروحي لنشوء باكستان، وهو في الوقت نفسه يهتم بالعالم الإسلامي خاصة ويتمزق لواقعهم المؤلم، ويهتم بالإنسان كله أيضاً لأنه أصبح لعبة بيد شياطين الإنس والجن، وهذا ما عبر عنه أحد زعماء الهنادك حينما قال:

---

(١) المرجع السابق – ص ٨٩، ٩٠.

(٢) الأعلام الخمسة (مرجع سابق) – ص ٥٥.

«إن إقبالاً قد وضع المصباح على باب المسلم، ولم يحجب نوره عن غير المسلمين، بل أمكن للجميع أن يستضيئوا بنور ذلك المصباح»[١]. وقد عده أحد سفراء الفرس من أصحاب الرسائل العالمية الإنسانية[٢].

٦ – سخرية إقبال:

إن شخصية إقبال شخصية جادة، لا تعرف الوهن، والخمول، ولكن هذه الشخصية تمر أحياناً بمواقف تبعث على الهزء والسخرية. فلابد من بيان هذه المواقف بالأسلوب نفسه الباعث على الضحك.

فموقف النفاق الاجتماعي، أو النفاق الديني موقف مختل بالنسبة إلى موقف الاستقامة، وصورة الرجل المنافق، صورة مزرية بالنسبة للرجل المستقيم. من هنا يعبر الرجل الساخر بالصورة المضحكة عن كثير من المواقف والأشخاص، وليس هدف إقبال هو السخرية المنهي عنها في القرآن الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ (الحجرات: ١١).

ولكنها السخرية الكاشفة لعورات المنافقين والخادعين لعباد الله باللسان والكلمة، أولئك المتبعين للشيطان في الحياة المعاصرة، أو أولئك الخاضعين للاستعمار، الذالين أنفسهم له.

ومن أمثلة سخرية إقبال؛ هذه الصورة المعبرة عن بعض رجال السياسة المنافقين يقول:

تراه مع من يجولون في الكنيسة حيناً.

---

(١) المرجع السابق – ص ٥٥.

(٢) المرجع السابق – ص ٩.

obeikandl.com

ومع الوثنيين في مواكبهم حيناً آخر..

عنكبوت في رداء حيدري[١]..

يتظاهر أمام الناس بحماية الدين لكنه زنار الكافرين..

يعامل الكل بالابتسام ولا يصادق منهم أحداً..

إن الثعبان ثعبان ولو رأيته يضحك[٢]..

وهذه الصورة الشعرية تذكرنا بقول الشاعر المتنبي:

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

وكذلك:

إن الأفاعي - وإن لانت ملامسها عند التقلب - في أنيابها العطب

وصورة أخرى ساخرة يصورها إقبال، لِدَعِيٍّ التوحيد والإيمان، وهو في الحقيقة لا يعرف سوى الفرقة وعبادة الهوى: يقول إقبال:

أتعيش بين المؤمنين مفرقاً للمسلمين، وتدعي التوحيدا

وتظن ذكرَك طاعةً وعبادةً وهواكَ صار إلهك المعبودا[٣]

وفي قصيدة «موسوليني» مقارنة ساخرة، بين بلاد الشام التي أهدت الغرب الأنبياء الذين هم رسل خير وإصلاح، والغرب الذي أهدى الشام

(١) نسبة إلى حيدرة وهو أحد ألقاب علي بن أبي طالب ﷺ (والحيدرة: الأسد).

(٢) إقبال وديوان أرمغان حجاز – د. سمير عبد الحميد إبراهيم – ص ١٠٩.

(٣) من قصيدة: تصوير الأمل وتحديد الأمل – ترجمها نثراً محمد حسن الأعظمي، وصاغها شعراً الصاوي شعلان – انظر: الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي (مرجع سابق).

obeikandi.com

الفجور والخمور والتحلل والفساد، يقول إقبال:

أهـدت الشـام إلى الغـرب نبياً هـو عـفٌّ ومـواسٍ وصـبورْ

ومـن الغـرب إلى الشـام هدايا مـن قمـارٍ ونسـاءٍ وخمـورْ[١]

وصورة أخرى للغرب، كانت في إجابة إقبال عندما سأله أحد زملائه في جامعة كمبردج: لم يُبعث الأنبياء ومؤسسو الديانات في آسيا دون أوروبا؟ فأجابه إقبال ساخراً: لأن العالم مقسم بين الله والشيطان، ولما كانت آسية من نصيب الله كانت أوروبا من نصيب الشيطان.

فرد أحدهم قائلاً: قد عرفنا رسل الله، فأين رسل الشيطان؟

فأجاب إقبال على الفور: إنهم زعماء سياسة الخداع والمكر في أوروبا[٢].

وحاشا لإقبال أن يقصد بكلامه هذا إشراك الشيطان في ملك الله، ولكنه يصور الغرب وسياسته المبنية على الخداع والكذب للشعوب الأخرى بأسلوب ساخر، وبالوقت نفسه يرفع من شأن الإسلام والمسلمين.

ثانياً: إنتاج إقبال الشعري والفكري:

لا يوجد فاصل بين الشعر والفكر لدى إقبال، إذ إن ما نظمه شعراً هو كل فلسفته وعصارة فكره، وآرائه في الكون والإنسان والحياة، والمقصود هنا هو ما عبر به إقبال عن فلسفته شعراً ونثراً، وما ألف من كتب علمية في مجال علم الاقتصاد والتاريخ فضلاً عن رسائله إلى رواد الفكر في عصره،

(١) ديوان «ضرب الكليم» تعريب د. عبد الوهاب عزام – ص ١٠٧.

(٢) الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي – ص ١٢.

يدافع فيها عن فلسفته وفكره، وكذلك رسائله الشخصية إلى عدد كبير من الأصدقاء.. فضلاً عن خواطره وتأملاته التي جمعت بعد وفاته رحمه الله ونشرت..

وإنتاج إقبال الشعري والفكري، نظماً ونثراً يدل دلالة عميقة على عقلية متفتحة كبيرة، جمعت ثقافات متعددة، وهضمتها، وأثمرت بعد ذلك ثماراً يانعة..

ونحن في هذا الفصل سنلقي نظرة عاجلة على هذا الإنتاج العظيم لعل القارئ العربي يأخذ صورة لفكر إقبال، وإن كانت لا تغنيه عن الرجوع إلى مؤلفاته نفسها.

أ – مؤلفات إقبال الشعرية:

وتضم دواوين إقبال التي نظمها باللغة الفارسية والأردية وهي:

(١) ديوان أسرار خودي (أسرار إثبات الذات) أو أسرار معرفة الذات

نشر إقبال هذا الديوان سنة ١٩١٥هـ، وهو أول دواوينه الفلسفية، وهو منظومة طويلة في بحر واحد وعلى القافية المزدوجة، مقسمة إلى فصول، يوضح فيها الشاعر فلسفته الذاتية فكرة بعد فكرة، ويصورها في صور شعرية رائعة[١].

وقد ركز إقبال كلامه في هذا الديوان على الذات التي يرتكز فيه كل النشاط وكل الحركة، والتي هي لب الشخصية، أي «قلب الذات»[٢].

---

(١) ديوان الأسرار والرموز – تعريب د. عبد الوهاب عزام – ص ١٠.

(٢) سجاد حيدر – محاضرة سفير باكستان في مصر، ٢٨ نوفمبر ١٩٦م (نقلاً عن إقبال وديوان أرمغان حجاز – سمير عبد الحميد إبراهيم – ص ٥٢).

obeikandl.com

ويوضح إقبال في مقدمة ديوانه مفهوم الذات بقوله: «ما هذا الشيء الذي نسميه " أنا " أو " خودي " أو " مين " الذي يبدو في أعماله، ويختفي في حقيقته، والذي يوجد كل المشاهدات، ولكن لطافته لا تحتمل المشاهدة، أهو حقيقة دائمة أم أن الحياة تجلت في هذا الخيال الخادع، وهذا الكذب النافع، تجلياً عرضياً لتحقيق مقاصدها العملية الراهنة؟

إن سيرة الأفراد والجماعات موقوفة على جواب هذا السؤال. ولكن جواب هذا السؤال لا يتوقف على المقدرة الفكرية في الآحاد والجماعات كما يتوقف على طباعها وفطرتها، فأمم الشرق المتفلسفة أميل إلى أن تعتبر (أنا) في الإنسان من خداع الخيال، وهي تعد الخلاص من هذا الغل نجاة، وميل أهل الغرب إلى العمل، ساقهم إلى ما يلائم طباعهم في هذا البحث»[١].

وقد طلب المستشرق الإنكليزي نيكلسون من إقبال مقالاً يوضح فيه مذهبه، فكتب إليه مقالاً أجمل فيه فلسفته، وقد أثبته نيكلسون في مقدمة ترجمة " أسرار خودي "، ونقله الدكتور عبد الوهاب عزام في كتابه عن سيرة إقبال[٢]، وكذلك في مقدمة ترجمة الديوان إلى اللغة العربية[٣].

ومما قاله في هذا المقال: «مركز حياة الإنسان ذات (خودي) أو شخص، أعني أن الحياة حينما تتجلى في الإنسان تسمى ذاتاً، وشخصية الإنسان من الوجهة النفسانية حال من التوتر، ودوام الشخصية موقوف على هذه

(١) انظر مقدمة إقبال لديوانه " أسرار خودي "، وكذلك ديوان الأسرار والرموز، ترجمة د. عبد الوهاب عزام – ص ١٣.

(٢) انظر إقبال وديوان أرمغان حجاز (مرجع سابق) – ص ٥٢.

(٢) انظر محمد إقبال – سيرته وفلسفته وشعره – " د. عبد الوهاب عزام».

openkandil.com

الحال، فإن زالت هذه الحال أعقبتها حال من الاسترخاء مضرة بالذات، فإن يكن في حال التوتر هذه كمال الإنسان فأول فرض عليه أن يعمل لدوام هذه الحال والحيلولة دون حال الاسترخاء، وكل ما يمكننا من إدامة حال التوتر يُمكِّننا من الخلود»[١].

وحتى لا يلتبس لدى القارئ معنى "خودي" وضح إقبال أن لفظ "خودي" لا يستعمل في هذه المنظومة بمعنى الأثرة أو الأنانية كما تستعمل في اللغة الأردية غالباً؛ إنما معناها الإحساس بالنفس أو تعيين الذات، وهي بهذا المعنى في كلمة: «بيخودي»(نفي الذات) أيضاً[٢].

ويحتوي ديوان أسرار "خودي" على الفصول الآتية[٣]:

١- تمهيد.

٢- في بيان أن نظام العالم من الذاتية، وأن تسلسل حياة أعيان الكون لا يكون إلا باستحكامها.

٣- في بيان أن حياة الذات تكون بتخليق المقاصد وتوليدها.

٤- في بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق.

٥- في بيان أن الذات تضعف بالسؤال.

٦- في بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق فتسخر قوى العالم الظاهرة والباطنة.

---

(١) المرجع السابق – ص ١٧.

(٢) من مقدمة إقبال لديوان: «أسرار خودي»، وانظر ديوان الأسرار والرموز – عزام، ص ١٥.

(٣) المرجع السابق – من ص ٥ حتى ص ٧١.

oberkandi.com

٧- قصة في معنى أن مسألة نفي الذات من مخترعات الأمم المغلوبة لتضعف الأمم الغالبة بهذه الطريقة الغنميَّة.

٨- في بيان أن أفلاطون اليوناني الذي أثرت آراؤه في تصوف المسلمين وآدابهم كان على هذه الطريقة الغنميَّة وأن الاحتراز من آرائه واجب.

٩- في حقيقة الشعر، وإصلاح الآداب الإسلامية.

١٠- في بيان أن التربية الذاتية تمر بثلاث مراحل، الأولى: الطاعة، والثانية: ضبط النفس، والثالثة: النيابة الإلهية.

١١- في بيان أن حياة المسلم لإعلاء كلمة الله وإن كان الباعث على الجهاد " جوع الأرض " فهو حرام في شريعة الإسلام.

١٢- نصيحة مير نجاة النقشبندي المعروف «باباي صحرائي»(الأب الصحراوي) التي كتبها لمسلمي الهند.

١٣- الوقت سيف.

١٤- دعاء. ويختم به المنظومة.

(٢) ديوان رموزبي خودي(رموز نفي الذات):

نشر إقبال مثنوي "رموزبي خودي" عام ١٩١٨م، وترجمه د. عبد الوهاب عزام إلى العربية عام ١٩٥٥م، ونشر مع الديوان الأول (أسرار خودي) في ديوان واحد بعنوان: «ديوان الأسرار والرموز» أسرار إثبات الذات، ورموز نفي الذات»[١].

(١) المرجع السابق.

obeikandl.com

ومنظومة "رموزبي خودي" متممة لفلسفة الذات عند إقبال، إذ إنه في المنظومة الأولى " أسرار خودي " يتناول الذات وتربيتها، والمنظومة الثانية " رموزبي خودي " تعالج موضوع الجماعة وكمالها وتنشئة الفرد فيها.

ويحتوي الديوان على ما يأتي[١]:

١- قصيدة مهداة إلى الأمة الإسلامية.

٢- تمهيد: في معنى ارتباط الفرد بالأمة.

٣- في معنى أن الملة تنشأ من اختلاط الأفراد، وأن تكميل تربيتها بالنبوة.

٤- أركان الأمة الإسلامية:

* الركن الأول: التوحيد:

- في معنى أن الخوف والحزن واليأس أمهات الخبائث، وقاطعات طريق الحياة، وأن في التوحيد دواء هذه العلل الخبيثة.

- محاورة السهم والسيف.

- قصة السلطان عالمكير والأسد.[٢]

* الركن الثاني: الرسالة:

- في بيان أن مقصود الرسالة المحمدية تمكين الحرية والمساواة والأخوة بين البشر.

---

(١) المرجع السابق – من ص ٧٧ وحتى ص ١٥٤.

(٢) محيي الدين عالمكير الملقب أورنك زيب أحد عظماء الملوك من دولة المغول في الهند، وكان حريصاً على نشر الإسلام في الهند، ملتزماً حدود الشرع – ملك من سنة ١٠٩٩ إلى سنة ١١٤٨هـ. انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية – ج ٢.

obeikandl.com

- قصة أبي عبيد وجابان في معنى الأخوة الإسلامية.
- قصة مراد والعمار في معنى المساواة الإسلامية.
- في بيان أن الأمة الإسلامية مؤسسة على التوحيد فلا تحدها الأمكنة.
- في بيان أن الوطن ليس أساس الأمة.
- في بيان أن الأمة لا تنتظم بغير شريعة، وشريعة الأمة المحمدية القرآن الكريم.
- في بيان أن التقاليد في زمن الانحطاط أولى من الاجتهاد.
- في بيان أن كمال الأمة من اتباع الشرع الإلهي.
- في بيان أن حسن سيرة الأمة من التأدب بالآداب المحمدية.
- في بيان أن حياة الأمة تحتاج إلى مركز محسوس، وأن مركز الأمة الإسلامية البيت الحرام.
- في بيان أن الاجتماع الحقيقي من الاستمساك بمقصد، ومقصد الأمة الإسلامية حفظ التوحيد ونشره.
- في بيان أن حياة الأمة تكون بتسخير قوى العالم.
- في بيان أن كمال حياة الأمة أن تشعر بنفسها كالأفراد، وأن توليد هذا الشعور وتكميله من الاحتفاظ بسنن الأمة ورواياتها.
- في بيان أن بقاء نوع الإنسان بالأمومة، وأن حفظ الأمومة واحترامها من أصول الإسلام.

obeikandl.com

- في بيان أن سيدة النساء فاطمة الزهراء أسوة كاملة للنساء المسلمات.
- خطاب إلى المرأة المسلمة.
- خلاصة مطالب المنظومة في تفسير سورة الإخلاص.
- شكوى المصنف إلى من أُرسل رحمة للعالمين.

ويبين إقبال في هذه المنظومة أن "الوطن ليس أساس الأمة"، وأن العصبيات قطعت أرحام الأمم، ويذكر مكيافيلي الإيطالي[1] وأثر أفكاره في سياسة أوروبا إلى أن يقول:

جَعل الملكَ إلهاً دينُهُ ... كلُّ قبحٍ نالَه تحسينُهُ
جعل النفعَ عيارَ الذمِ ... حينما خرَّ لها كالصنمِ
صارتِ الحيلةُ فناً مُحكما ... إنما الباطلُ مما علما[2]

ويخاطب المرأة المسلمة قائلاً:

مشعلُ مصباحِنا من نارِكِ ... عرضُنا في الصونِ من أستارِكِ
خلقُكِ الطاهرُ فينا رحمةٌ ... قويَ الدينُ بهِ والأمةُ
ذلك العصرُ غرورٌ ماكرُ ... وعلى الأديان باغٍ فاجرُ
عقلُه أعمى وباللهِ كفرْ ... كمْ جهولٍ في شراكٍ قد أَسَرْ

(١) مكيافيلي: مؤلف كتاب الأمير الذي أحل للملوك كل وسيلة تبلغ بهم الغاية (الغاية تبرر الوسيلة).

(٢) ارجع إلى محمد إقبال.. سيرته وفلسفته – د. عزام – ص ١٣٧.

obeikandl.com

احـذري فتنـةَ عصـرٍ مهلكِ وإلى صـدركِ ضمي وُلْـدَكِ
فيـك تسـمو للمعـالي فطـرةٌ فاتبعي الزهـراءَ، نعمَتْ أسوةُ
علَّ غصناً منكِ يأتي بحُسَنْ فتري النضرةَ روضاتٌ ذوَيْنْ[1]

(٣) بيام مشرق أو (رسالة المشرق):

نشر هذا الديوان عام ١٩٢٣م، وكتب الشاعر فوق العنوان: «ولله المشرق والمغـرب» وكتب تحته «جواب ديوان الشـاعر الألمـاني جوته» يقول إقبال في مقدمة هذا الديوان[2]:

نظمت «بيام مشـرق» لأجيب به الديوان الغربي لفيلسـوف الحياة جوته الذي يقول فيه الشاعر الألماني هانيا: «هذه باقة من العقائد يرسلها المغرب إلى المشـرق». ويتبين من هذا الديوان أن المغرب ضاق بروحانيته الضعيفة الباردة فتطلع إلى الاقتباس من صدر الشرق...

ما المؤثرات وما الأحوال التي سـماها باسـم " الديوان الغربي؟ " لابد للإجابة عن هذا السـؤال أن نتبين إجمالاً هذا التأثير الذي سمي في تاريخ الأدب الألماني، التأثير الشرقي.

ويقول إقبال في المقدمة أيضاً:

«إن الشـرق - ولاسيما الشرق الإسـلامي - يفتح عينه بعد نوم القرون المتطاولـة، ولكن يجب على أمم الشـرق أن تتبين أن الحياة لا تسـتطيع أن تبـدل ما حولها حتى يكـون تبدلٌ في أعماقها، وأن عالماً جديداً لا يسـتطيع

(١) الأسرار والرموز - لعزام - ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) بيام مشرق (رسالة المشرق) - ترجمة د. عبد الوهاب عزام - المقدمة.

obeikandl.com

أن يتخذ وجوده الخارجي حتى يوجد في ضمائر الناس قبلاً؛ هذا قانون الفطرة الثابت الذي بينه القرآن في كلمات يسيرة بليغة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

إنه قانون يجمع جانبي الحياة كليهما الفردي والاجتماعي، وقد اجتهدت في كتبي الفارسية أن أبين للناس صدقه».

نظم إقبال هذا الديوان بالفارسية، ويحتوي مختلف أقسام الشعر الفارسي، مثل الغزل، والرباعي، والدوبيت، والقطع، والمثنوي وغيرها، ويتضمن الديوان: الشعر الأخلاقي والحركات السياسية والاجتماعية في ذلك الوقت، إلا أن أهم ما يجذب القلب حقاً هو الجانب الغنائي في شعره الذي يعجب به الإيرانيون إعجاباً كثيراً، وهو يثير العجب بطريقة اختياره للألفاظ والتراكيب[١].

فمن قصيدة شقائق الطور يقول إقبال:

بقلبي سرٌّ جثمانٍ وروحٍ ... فلا فزعٌ إذا أجلي أتاني

فإمّا غابَ عن عينيَّ كونٌ ... فباقٍ ألفُ كونٍ في جَناني

مزاجُ الزهرِ أعرفُ في يقين ... وريحُ الوردِ في خَلَد الغصونِ

وحبَّبَني إلى الأطيار أني ... عزفت لها مقامات اللحونِ [٢]

ويعاتب إقبال من يفرق الأمة الإسلامية بالقوميات والعصبيات فيقول:

---

(١) إقبال وديوان أرمغان حجاز (مرجع سابق) – ص ٥٥-٥٦ (نقلاً عن: إيرانيون كي نظر مين – ١٨٨ – عبد الحميد عرفان).

(٢) رسالة المشرق – تعريب – عزام.

أيا طفلَ السجايا اسْمَعْ عتابي ... أإســـلامٌ وفـخـرٌ بـانـتـســابِ؟
فـإن تعتزَّ بـالأنـســابِ عُــرْبٌ ... فـإن جـزاءَهـا هجرُ الصحابِ
رأيـتـك لا تـزالُ أسـيـرَ طينٍ ... إلـــى تُـــرْكٍ وأفـغـــانٍ تـريـدُ
أنـــا بـشـرٌ بـلا لـــونٍ وريـــحٍ ... ولـلـتـورانِ أو لـلـهـنـدِ بـعـدُ[1]

ويحتوي الديوان على الأقسام الآتية[2]:

١- شقائق الطور، وهي رباعيات مؤلفة من ١٦٣ رباعية.

٢- الأفكار: وهي إحدى وخمسون قطعة، نجد من بينها: الوردة الأولى: دعاء الربيع، غناء النجوم، من الله والإنسان، العشق، الجنة، الجمهورية، إلى مصطفى كمال باشا، الطائر، لغز سيف الإسلام في بلاد الإفرنج وغيرها.

٣- الخمر الباقية: وهي قصائد صوفية رمزية من الضرب الذي يسمى في اصطلاح الأدب الفارسي غزلاً، وهو غير الاصطلاح العربي، في اصطلاح شعراء الفرس أبيات لا يلتزم فيها الشاعر موضوعاً واحداً، وعدد الغزليات في هذا القسم خمس وأربعون.

٤- نقش الإفرنج: وهي أربع وعشرون قطعة وقصيدة يذكر فيها إقبال بعض شعراء أوروبا وفلاسفتها، وينقد مذاهبهم وآراءهم فيقبل منها ويرد، فهو يتحدث عن هيئة الأمم، وشوبنهاور، ونيتشه، وعن الفلسفة، والسياسة، وهيجل، وبرغسون.

٣- الدقائق، وهي قطع صغيرة وأبيات مفردة ألحقها بالديوان.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) إقبال وديوان أرمغان حجاز (مرجع سابق) – ص ٥٧ – ٥٨.

obeikandl.com

(٤) بانك درا (صلصلة الجرس) أو (جرس القافلة):

نشر هذا الديوان سنة ١٩٢٤م، ويحتوي شعر الصبا الذي نظمه قبل منظومتي الأسرار والرموز وغيرهما.

وفي هذا الديوان شعر نظم إقبال بعضه في صباه، وبعضه في سن الخمسين[١].

وفي "بانك درا" نجد أعظم قصائد الرثاء عند إقبال، ومنها قصيدة رثاء أمه، وتعد من أشهر قصائد الرثاء في اللغة الأردية وأروعها، فهو يجوب في غموض أسرار الحياة والموت، والقانون الذي تسلط عليه، وهذه الفلسفة تجعل روحه تنفذ إلى الأسرار والمعاني في حكمة الحياة، وفلسفة الموت فتعطيه ثباتاً وشجاعة لمعالجة هذا الفقدان[٢].

وفي الديوان مرثية فاطمة؛ تلك الفتاة التي كانت تسقي الماء للمجاهدين الليبيين وهم يقاتلون الاستعمار الإيطالي، يقول فيها:

يا فاطمة أنت مجد الأمة الإسلامية،

كل ذرة في جسمك بريئة وطاهرة.

كانت هذه السعادة من نصيبك،

أن تسقي مجاهدي الإسلام،

جاهدت في سبيل الله عزلاء

---

(١) ارجع إلى – محمد إقبال – سيرته وفلسفته وشعره لعزام.

(٢) محمد إقبال وديوان أرمغان حجاز، نقلاً عن:

(IQBAL HIS ART AND HIS THOUTGH BY: S.A.W.OHID P. 1880)

obeikandl.com

دون سيف ولا ترس[١]

ويحتوي الديوان على الأقسام الآتية حسب سني نظمها[٢]:

- القسم الأول: وفيه زهاء ستين قصيدة وقطعة، نظمها منذ شرع ينظم الشعر إلى أن سافر إلى أوروبا سنة ١٩٠٥م. وفي هذا القسم قصائد قومية ووطنية، وقصائد إسلامية وإنسانية.
- القسم الثاني: من سنة ١٩٠٥ إلى ١٩٠٨م، وهو ما أنشأه في أوروبا حينما ذهب إليها للدراسة، وهو زهاء ثلاثين قصيدة وقطعة؛ وهذا القسم جدير بالعناية، لأنه يبين شعور إقبال تجاه الحضارة الغربية وتعدد مظاهرها ووجوهها.
- القسم الثالث: من عام ١٩٠٨ إلى ١٩٢٤م، وهو تاريخ نشر الديوان. وفيه زهاء ثماني قصائد وقطعة، وآخر القصائد الطوال في هذا القسم قصيدتان عنوانهما «خضر راه» و «طلوع إسلام».

(٥) زبور عجم:

نشر عام ١٩٢٩م، وصدره إقبال بقوله:«تحجب عيني شعرة حيناً، وترى عيني العالمين حيناً، إن وادي العشق سحيق وطويل، ولكن طريق مئة سنة تطوى باهتة حينا، جِدَّ ولا يُهِنْ أَمَلُكَ، فرب سعادة تواتي على قارعة الطريق حينا»[٣].

---

(١) المرجع السابق – ص ٦٠ (نقلاً عن ديوان بانك درا).

(٢) محمد إقبال وديوان أرمغان حجاز – (مرجع سابق) – ص ٥٨.

(٣) محمد إقبال.. سيرته وفلسفته وشعره – (مرجع سابق) – ص ١٨٣.

obeikandi.com

وقال " أربري " في مقدمته لترجمته الإنكليزية:... إن القارئ سوف يجد نفسه في عالم جديد من الفكر والمشاعر، عالم مملوء بالأمل والطموح العالي، في عالم يحوي رؤية أعظم مفكر يرى في متاعب هذه الأزمنة فجر عمر جديد[١].

من قصائد هذا الديوان: قصيدة يخاطب إقبال فيها المسلم المسحوق تحت أقدام الاستعمار الغربي، المسلوب الفكر بتأثير الغزو الفكري.. فيبعث فيه الأمل، ويدعوه إلى العمل والجهاد وعدم الخوف، ويدعوه إلى اليقظة وعدم الغفلة فيقول: «عجباً لك أيها المسلم تجلت لك الآفاق، وغابت عنك نفسك، إلى متى تظل غافلاً جاهلاً؟ وتجلس ضائعاً عاطلاً، إن نورك الوهاج أثار العالم القديم، ونسخ الليل البهيم، ولا تزال اليد البيضاء[٢] التي ورثتها عن موسى، في كُمِّك تخط حدود الآفاق الضيقة، فأنت السابق لها والفائق عليها، فقد كنت ولم تكن، وستكون ولا تكون. هل تخاف الموت أيها الإنسان الحي الخالد؟ لقد كان جديراً بالموت أن يخافك، فأنت تكمن له وترصد به، اعلم يقيناً أن الكريم إذا وهب شيئاً لا يسترده، وليس حتف ابن آدم في فراق الروح، إنما حتفه في ضعف الإيمان، والحرمان من اليقين[٣]».

ويقول في قصيدة أخرى تمتاز بحلاوة الجَرْس وعذوبة الموسيقى يهيب بالمسلم المتشائم اليائس، المتخلف عن ركب الحياة، المتنازل عن القيادة والإمامة، أن يستيقظ من سباته الطويل؛ يقول:

---

(١) محمد إقبال وديوان أرمغان حجاز (مرجع سابق) – ص ٦٠ ، نقلاً عن المقدمة:
(A.J. ARABERY PERSIAN PSALMS 1948)

(٢) يشير إلى الآية: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ (طه).

(٣) روائع إقبال للندوي – ص ٩٨ (نقلاً عن ديوان زبور عجم – ص ١٦٤).

obeikandl.com

«افتح عينيك أيها الزهر النائم مثل النرجس الذي لا يطبق عينه لحظة، ولا يعرف الكرى إليه سبيلا، لقد أغار على وكرنا الأعداء، ونهبوا كل ما فيه، من كنوز وخيرات. ألا يكفي هديل الحمام، وصفير الأذان، وأنين القلوب والأرواح أن يوقظك؟ انْته من هذا السبات العميق، الذي طال أمده واشتدت وطأته»[١].

ويحتوي الديوان على أربعة أقسام[٢]:

الأول: دعاء، وفيه ست وستون قطعة أكثرها من دون عنوان.

الثاني: فيه خمس وسبعون قطعة تقل فيها العناوين أيضاً.

الثالث: حديقة السر الجديد (كلشن راز جديد) وهو على طريقة " كلشن راز " الذي ألفه الشيخ محمود شيستري، إجابة عن أسئلة في التصوف، أرسلها بعض الصوفية، وفيه يجيب إقبال عن تسعة أسئلة، فيها دقائق صوفية وفلسفية.

الرابع: كتاب العبودية، ويبين فيه آثار العبودية في الحياة والفنون الجميلة...

(٦) جاويد نامة (أو الكتاب الخالد):

نشر هذا الديوان سنة ١٩٣٢م، وترجم إلى العربية شعراً من قبل د.حسين مجيب المصري في القاهرة بعنوان «في السماء» أو (جاويد نامة)، وكذلك ترجم إلى العربية نثراً من قبل محمد السعيد جمال الدين بعنوان: «رسالة الخلود» أو (جاويد نامة) في القاهرة أيضاً عام ١٣٩٤هـ (١٩٧١م).

---

(١) المرجع السابق – ص ٩٩ (نقلاً عن ديوان زبور عجم – ص ١١٦).

(٢) محمد إقبال وديوان أرمغان حجاز (مرجع سابق) – ص ٦٠ – ٦١.

وقد ترجم الشيخ أبو الحسن الندوي بعض قصائد الديوان إلى العربية نثراً مثل قصيدة: نياحة أبي جهل، وعودة الجاهلية، وساعة مع السيد جمال الدين الأفغاني، وضمنها كتابه القيم «روائع إقبال».

وجاويد نامة – قصة سفر خيالية، يصاحب فيها إقبال الشيخ جلال الدين الرومي روحياً وفكرياً، ومَرَّ في جولته بمنازل كثيرة، التقى فيها بشخصيات ماضية، من أصحاب الديانات والفلسفات، وقادة الفكر والرجالات، وتحدث معهم في مسائل كثيرة.[١]

ومنظومة جاويد نامة: تشبه رسالة الغفران لأبي العلاء المعري الشاعر العربي، وقصة الكوميديا الإلهية لدانتي الشاعر الإيطالي[٢]، في الأسلوب، وهو السفر بين الأفلاك.

أما المضمون فإن إقبالاً أودع ديوانه كل آرائه وفلسفته وأفكاره الإسلامية.

ففي فلك القمر يظهر إقبال أثر الإسلام في حياة العرب على لسان أبي جهل الذي ينوح في الكعبة على حياة الجاهلية:

قلوبنا جريحة بسبب محمد،

فتعاليمه قد أضاءت الكعبة.

ويسلب الشباب من حوزتنا.

---

(١) انظر روائع إقبال للندوي.

(٢) قابل إقبال في رحلته إلى إسبانيا البروفيسور أسن الذي صنف كتاباً أثبت فيه أن الكوميديا الإلهية التي صنفها دانتي الإيطالي كلها مسروقة من الآثار الإسلامية ولاسيما أحاديث الإسراء والمعراج وما يتعلق بالجنة والنار (انظر الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي – ص ١٥).

obeikandl.com

ضَرْبَتُه حَطَّمت اللاة ومناة.[١]

يا أيتها الكائنات انتقمي منه،

فدينه يلغي كل فروق الوطن والجنس.

ومع أنه من قريش فهو يذكر فضل العرب.

ليس في دينه تمييز بين عال ومنخفض،

فهو يأكل مع غلامه في طبق واحد.

وفي فلك "عطارد" حيث يقابل جمال الدين الأفغاني، يبين ضرورة الدين للمجتمعات البشرية، وأنها لا تستطيع أن تكتفي بالعقل فقط، كما هو الحال في الغرب، ولابد من مزج الثقافتين الغربية والشرقية، أو كما يعبر عنها الشاعر العقل والعشق لتكتمل الحياة.

وفي فلك "الزهرة" يوضح عاقبة المنحرفين عن طريق الأنبياء مثل فرعون وغيره ممن ألّهوا أنفسهم على البشر.

وفي فلك "المريخ" يعالج إقبال مسألة القضاء والقدر.

وفي فلك "المشتري" يناقش إقبال فلسفة الحياة والموت.

وفي فلك "زحل" يقابل إقبال أرواح المتهمين بالخيانة العظمى ضد أوطانهم، ويظهر الهند كحورية حسناء مقيدة بالسلاسل كناية عن الاستعمار.

ويصل إقبال إلى ما وراء الأفلاك.. حيث يقابل نيتشه – الفيلسوف الألماني – الذي حاول أن يعرف الله عن طريق العقل، فلم يجد إلا السراب،

(١) محمد إقبال وديوان أرمغان حجاز (مرجع سابق) – ص ٦٢.

obeikandl.com

ويقصد إقبال من ذلك أن العقل وحده لا يهدي الإنسان إلى معرفة الله. ويُذَكِّر أيضاً بالاستعمار البريطاني وبيعهم لكشمير.

ويبلغ إقبال النهاية من رحلته، حينما يسمع الصوت الإلهي المقدس يدله على الحقيقة، وهي هدف رحلته، من أن السر الحقيقي للتقدم والتطور يكمن في نموه وتطور الفرد والجماعة.

وفي النهاية يخاطب الشاعر ابنه جاويد.. وهو يخاطب الشباب بشخصه:

إنه من الخطأ أن تنطق بكلمة سيئة.

إن الكافر كالمؤمن هو من خلق الله.

كل قليلاً ونم قليلاً وتكلم قليلاً.

ودر حول نفسك مثلما تدور البوصلة حول المركز.

ولتكن دائماً مخلصاً في كل معاملاتك.

وتخلص من خوف الملوك والحكام.

لا تترك أبداً العدل تحت أي الظروف.

لذة الحياة ليست سوى التحليق بالذات.

فالعشق ليس مكاناً مناسباً لفطرتها[1].

(١) انظر المرجع السابق.

obeikandl.com

(٧) ديوان مسافر:

في عام ١٩٣٢م لبى إقبال دعوة السلطان الشهيد نادر خان ملك أفغانستان في بعثة تتألف من (سر رأس مسعود) حفيد (سرسيد أحمد خان) ورئيس جامعة عليكرة الإسلامية، والأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي، وتحدث إليه الملك طويلاً، وأفضى إليه بذات صدره وبكيا طويلاً، ولما زار قبر السلطان محمود الغزنوي[١] فاتح الهند، والحكيم سنائي[٢] لم يملك عينيه فبكى، وقال قصيدة حكيمة بديعة، بث فيها أشواقه وآماله وآلامه، ونظر فيها إلى العالم المعاصر بعين حكيم شاعر، ومؤمن ثائر، وسجلها تذكاراً لهذه الزيارة التاريخية الممتعة.. يقول إقبال فيها حسب ترجمة الشيخ الندوي نثراً:

«إن من عرف نفسه وقيمته تحرر من هذا العالم المادي، وتمرد عليه، وذلك سر التوحيد الذي لا يزال الناس في غفلة عنه، وأن من تفتحت بصيرته تجلى له الجمال الإلهي، فرآه في هذا الكون[٣].

وعلى أثر رجوع إقبال من كابل نظم منظومته «مسافر».

وإقبال في ديوانه شديد الإعجاب بشجاعة الأفغان وحريتهم... وختم المنظومة بأبيات خاطب فيها الملك "ظاهر شاه" والد "نادر شاه" وقد قتل نادر شاه بعد عودة الشاعر من أفغانستان.

---

(١) محمود الغزنوي – (٢٨٧ – ٤٢١هـ) (٩٩٧ – ١٠٣١م).

(٢) هو من كبار شعراء العهد الغزنوي، نشأ كشاعر غزل ومديح، ولقب بملك الشعراء في البلاط، ثم عزف عن الدنيا ومدائح الملوك، وعكف على الشعر الوجداني، ونظم الحقائق والمعارف الإلهية، توفي سنة ٥٢٥هـ. انظر روائع إقبال للندوي – ص ١٣٧.

(٣) محمد إقبال وديوان أرمغان حجاز (مرجع سابق) – ص ٦٦.

obeikandl.com

(٨) بال جبريل (جناح جبريل)

نشر هذا الديوان عام ١٩٣٥م باللغة الأردية[١]، ويحتوي على الأقسام الآتية:

* إحدى وستين قطعة يعبر فيها عن أفكاره في صور مختلفة.
* مجموعة قصائد نظمها إقبال في الأندلس حين زارها وهي:
  - في جامع قرطبة.[٢]
  - قصيدة عن المعتمد بن عباد في سجنه.[٣]
  - أول نخلة غرسها عبد الرحمن الداخل في الأندلس.[٤]
  - قصيدة عن إسبانيا.
  - دعاء طارق.[٦]

ومن أروع ما قاله في قرطبة[٦] حسب ترجمة الصاوي شعلان شعراً:

أيُّها النهرُ الذي في شاطئيه ... جنةٌ للحسنِ يجلوه النظَرْ

فوقَ شطيكِ سرى في مُقلتي ... حلُمُ الماضي الذي عنكِ اسْتترْ

---

(١) عرَّبَ الديوان نثراً عن ترجمته الفرنسية عبد المعين الملوحي – نشر دار طلاس – دمشق. – وعربه شعراً زهير ظاظا - نشر دار إقبال – دمشق.

(٢) انظر روائع إقبال – للندوي - ص ١٢١.

(٣) المعتمد بن عباد: ملك إشبيلية في الأندلس (٤٦١ – ٤٨٤ هـ) (١٠٦٩ – ١٠٩١م). واشتهر بالشعر والأدب والفروسية.

(٤) عبد الرحمن الداخل: أو (صقر قريش) مؤسس الدولة الأموية في الأندلس (١٣٨ – ١٧٢هـ) (٧٥٥ – ٧٨٨م).

(٥) انظر – روائع إقبال (مرجع سابق) – ص ١٤٩.

(٦) الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي – ص ١٦.

obeikandl.com

غـيرَ أنَّ القومَ من سـكرتِهِمْ ... في حجابٍ خلفَ مجهولِ القدَرْ

وأرى في حُلْـمِ ليلـي يقظـةً ... قد تجلّى لي ضُحاها في السحَرْ

يزعـج القـومَ ندائـي للعُـلا ... إذ كشفْتُ الستَر عن كنزِ الفِكَرْ

ومما قاله أيضاً في جامع قرطبة حسب ترجمة الشيخ الندوي نثراً:

«انظر، أيها المسجد، إلى هذا الهندي الذي نشأ بعيداً عن مركز الإسلام ومهـد العروبة، نشـأ بين الكفار وعباد الأصـنام، كيـف غمر قلبه الحب والحنان، وكيف فاض قلبه ولسانه بالصلاة على نبي الرحمة الذي يرجع إليه الفضل في وجودك، كيف ملكه الشوق، وكيف سرى في جسمه مشاعر التوحيد والإيمان.[١]

* قصيدة لينين أمام الله. وقالها في صورة تمثيلية.[٢]

* في فلسـطين – قالهـا عام (١٣٥٠هـ - ١٩٣١م) حـين حضـر المؤتمـر الإسلامي في القدس.

* منظومة عنوانها: الملائكة يودعون آدم خارجاً من الجنة.

* أبيات: على قبر نابليون.

* أبيات: موسوليني.

* قطع أخرى كثيرة متفرقة عن موضوعات مختلفة.[٣]

---

(١) روائع إقبال للندوي – ص ١٢٥.

(٢) ارجع إلى: محمد إقبال وديوان أرمغان حجاز – ص ٦٦.

(٣) محمد إقبال (سيرته وفلسفته وشعره) – ص ١٨٩.

obeikandi.com

ويعـد ديوان إقبال (بال جبريل) من روائـع الأدب الأردي لما يحتويه من مضمون فكري عظيم، فإقبال يعبر عن مكنونات صدره، وما يفيض وجدانه من عواطف، أثناء أسـفاره في إسبانيا وفلسطين، وحرقته على العالم الإسـلامي أثنـاء مروره بالآثار الإسـلامية، ذات الفن الرائع في قرطبـة وغرناطـة، ويظهـر في الديوان، اللقـاء الروحـي والفكري بين إقبال وجلال الدين الرومي في قصيدة المرشد الرومي والمريد الهندي؛ «فالمريـد الهندي»(إقبـال) يسـأل بالأرديـة، والرومي يجيـب على كل سـؤال بأبيات من المثنوي[١]، وهذا الحوار يوضـح لنا أهم عقائد إقبال وأفكاره.[٢]

ويـروى عن إقبـال أنه لما أصـدر ديوانه (جناح جبريل) قال لـه قائل: إني قرأت تصـنيف نيتشـه[٣] للمرة الثالثة، ويخيل إلي أننـي أقرؤه من جديد فهو طريف الفكرة عميقها، قريب إلى الإسلام في بعض أصول تفكيره، ولعل أحداً لم يقدم إليه الإسـلام في عرض سليم وتفكير صحيح، ولجهله بمبادئ القرآن ألحد في فلسـفته، ولعلـه نفر من المسـيحية لأنه وجد فيهـا أن الحَمَل الواهن الضعيف هو ابن الله، ورأى أن الأخلاق في المسيحية تبدو في صورة الضعف.

فقال إقبال: لقد أصبت اللباب وأدركت الصواب، ولهذا قلت عن نيتشه: إن قلبه مؤمن وعقله كافر.

---

(١) ارجع إلى الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي (مرجع سابق) – حيث القصيدة مترجمة نثراً للأعظمي والشعلان – ص ١٠٢.

(٢) ديـوان – ضـرب كليـم – المقدمـة – عبد الحميد عرفـان – نقلاً عن محمـد إقبال وديوان أرمغان حجاز – ص ٦٨.

(٣) نيتشه: فيلسوف ألماني – ستأتي ترجمته في الفصل الثاني – والمصنَّف الذي يشير إليه إقبال هو: (هكذا تكلم زرادشت).

obeikandl.com

وفي جناح جبريل يشبه إقبال نيتشه في كثير من الفكرة وقوة الأسلوب.[١]

(٩) "بس جه باید کرد أي أقوام شرق": (ماذا ينبغي أن نعمل يا أمم الشرق؟)

وقد نشر إقبال هذا المثنوي سنة ١٩٣٦م، وهو آخر مثنوي لإقبال، وقد وضع عليه عنوان قصيدة من قصائد المثنوي التي ذكر فيها حرب الحبشة وعصبة الأمم.. وتوجد قصائد أخرى منها:

خطاب الشمس، الحكمة الكليمية، الحكمة الفرعونية، لا إله إلا الله، الفقر، الرجل الحر، في أسرار الشريعة، كلمات إلى الأمة العربية... إلخ.

وهذه المنظومة في جملتها حكمة بالغة، وشعر بليغ نقشها الشاعر حين أحزنه أحوال المسلمين، وحزبه ما رأى من فتون الحضارة الأوربية وضلالها، وجور ساستها، وقسوة قادتها، وعدوانهم على الأمم الضعيفة.[٢] وقد عربه الصاوي شعلان شعراً إلى العربية.

وإقبال في هذا المثنوي ينصح أمم الشرق بإقامة الروابط الاقتصادية والثقافية فيما بينهم، ويبين لهم أن الوقوف في وجه السياسة الاستعمارية بأشكالها المختلفة والعودة إلى أحكام الإسلام، وإطاعة الأوامر الإلهية هو الطريق الوحيد للنجاة، فقد كان قلب إقبال يحترق دائماً من أوضاع الأمم في الشرق.[٣]

---

(١) ارجع إلى الأعلام الخمسة (مرجع سابق) – ص ١٦.

(٢) محمد إقبال – د. عزام – ص ١٩٠ – وكذلك: محمد إقبال وديوان أرمغان حجاز (مرجع سابق) – ص ٦٨.

(٣) ضرب كليم – المقدمة – عبد الحميد عرفاني.

obeikandi.com

(١٠) "ضرب كليم" أو "ضرب موسى"

نشر سنة ١٩٣٧م، وهو آخر ما نشر في حياة إقبال، ويحتوي الديوان الأقسام الآتية:[١]

أ- الإسلام والمسلمون، وهو أطول الفصول، وفيه بيَّن إقبال:

- أن ارتقاء النفس الإنسانية أو الذات أول شرط من شروط الإيمان بوجود الله ووحدانيته.
- يجب على المسلمين أن يجعلوا القرآن والسنة طريقهم ومنهجهم، لا غيرها من الفلسفات والآراء.
- لا يحبذ إقبال التأويلات والتفسيرات غير الضرورية. ويعتقد أن القلب الطاهر أحسن مفسر للحقائق العرفانية.
- شرح إقبال مسألة الجبر والاختيار بأسلوب سهل، وأوضح أن تاريخ الأمم يكون تابعاً لجد البشر وجهدهم.
- وأن الرجل المؤمن الحق هو الثابت على الأحكام الإلهية.

ب- التربية والتعليم:

انتقد إقبال نظام التعليم الحديث الذي اعتنى بتربية العقل وتثقيف اللسان ولم يعتن بتغذية القلب وتقويم الأخلاق، فنشأ جيل غير متوازن القوى، وغير متناسب النشأة قد ضخَّم وكبَّر بعض نواحي إنسانيته وحياته على حساب نواح أخرى، وأنه يبعث على الكسل وحب الراحة. ومن رأيه أن

---

(١) محمد إقبال وديوان أرمغان حجاز – ص ٦٨ – (نقلاً عن ضرب كليم – المقدمة – عبدالحميد عرفاني).

obeikandl.com

نظام التعليم الغربي قد أضعف الروح المعنوية في الشباب المسلم، وجنى على رجولته جناية عظيمة، فأصبح شباباً رخواً رقيقاً مائعاً لا يستطيع الجهاد، ولا يتحمل المكروه[١].

ووصف إقبال مقلدي التعليم كمن يقلد الأعمى في عماه. أما ما يقال عن حرية الفكر لدى الغربيين فما هي إلا طريقة تؤدي إلى إغراق الفكر، وينبغي أن نحفظ الفكر والنظر السليم بالاعتماد على الإيمان والتوحيد[٢].

ج – مقام المرأة في المجتمع:

يوضح إقبال أن للمرأة احترامها وتقديرها أماً، وأختاً، وزوجة، وليست المرأة حيواناً حقيراً كما زعم البراهمة من قبل.

وهي المدرسة الأولى للعقل الوليد، والمعهد الأسنى للطفولة، ولن تكون رجلاً إلا إذا مسخت نواميس الكون، وانتكست سنة الطبيعة، وأن تقليد الغرب والسفور لعنة وبلاء[٣]. يقول إقبال:

عشرة الإفرنج نهج مفسدٌ جهل الحمقى طباع المحصناتْ

ويقول إقبال:

موت الأمومة إن رامت حضارتهم فالموت عاقبة الإنسان في الغربِ[٤]

---

(١) انظر روائع إقبال للندوي – ص ٥٤ (بتصرف).

(٢) محمد إقبال وديوان أرمغان حجاز (مرجع سابق) – المقدمة – ص ٦٩.

(٣) إقبال الشاعر الثائر – نجيب الكيلاني – ص ١١٩.

(٤) ضرب الكليم – لعزام (مرجع سابق).

obeikandl.com

د – آداب الفنون الجميلة:

يؤمن إقبال بالأدب والفن الملتزم، ولا يؤمن بمذهب الفن للفن من دون التقيد بغاية معينة أو هدف خاص. ولإقبال آراء في الأدب والشعر، وهي عصارة تفكيره وتجاربه، منها أن الأدب موهبة كبيرة من الله، وقوة عظيمة، يحدث به صاحبه انقلاباً في المجتمع،

وثورة فكرية، يضرب به الأوضاع الفاسدة. ويزكي القلوب حماسة، ويشعل البلاد ثورة، فلابد أن يكون في قلم الأديب والشاعر التأثير الذي كان في عصا موسى، وأن يؤدي رسالته في العالم.[١]

والفن يبعث القوة في الذات، ويجعل لها الأماني والآمال، ويبعث فيها الحرارة والعشق والنزوع إلى الترقي:

الدينُ والفنُّ والتدبيرُ والخطبُ ... والشعرُ والنثرُ والتحريرُ والكتبُ

إنتحفظِ (الذاتَ) هذي فالحياةُ بها ... أو لم تطقْ ذاك فَهْيَ السحرُ والكذبُ

كم أمةٍ تحت تلك الشمسِ قد خزِيَتْ ... إذ جانَبَ الذاتَ فيها الدينُ والأدبُ[٢]

هـ - سياسات الشرق والغرب:

في هذا القسم ينقد إقبال الغرب وسياسته، وكذلك الشيوعية ويدعو إلى تحطيمها «إن الملوكية (الرأسمالية) والشيوعية تلتقيان على الشره والنهامة، والقلق والسآمة، والجهل بالله والخداع للإنسانية. إن الشيوعية تقضي على العلم والدين والفن، والملوكية (الرأسمالية) تنزع الروح من

(١) روائع إقبال للندوي – ص ٥٤.

(٢) إقبال الشاعر الثائر لنجيب الكيلاني – ص ٧٩.

أجسام الأغنياء، وتسلب القوت من أيدي العاملين الفقراء. لقد رأيت كلتيهما غارقتين في المادة، جسمهما قوي ناضر، وقلبهما مظلم فاجر»[١].

و – أفكار (محراب كل) أفغاني:

وهذا القسم يحتوي على عدة قطع بعنوان مقتطفات من أفكار شاعر اللغة البوشتية " محراب كَل "وفيها ينقد إقبال سياسة الدول الغربية، ويحذر شعوب الشرق من التقليد الأعمى للثقافة الأوروبية، كما أوصى بحفظ شعائر الإسلام[٢].

ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام: «إن فلسفة إقبال تتجلى في هذا الديوان، والديوان في جملته ضرب يفجر الماء من الحجر، لا موسيقى ولا غناء كما قال إقبال:

كفاحٌ شديدٌ وضربٌ سديدٌ فلا تبغِ في الحربِ عزفَ الوتَرْ[٣]

ومن أجل هذا سماه ضرب الكليم، ويرمز إلى قصة موسى –عليه السلام– حين ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً»[٤].

ويقول أحمد برويز: «إن هذا الكتاب سماه العلامة إقبال ضرب الكليم ووصفه بأنه «إيذان العصر الحاضر بالحرب»[٥].

---

(١) روائع إقبال للندوي – ص ٧٣.

(٢) مقدمة ديوان «ضرب كليم "– المقدمة، عبد الحميد عرفاني.

(٣) المرجع سابق.

(٤) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾(البقرة:٦٠).

(٥) ضرب الكليم لعزام – المقدمة المترجمة لغلام أحمد برويز (ز).

obeikandl.com

وقد ترجمه الدكتور عزام ترجمة رائعة تقترب كثيراً مما أراده إقبال من شعره في الديوان.

(١١) أرمغان حجاز(هدية الحجاز)[١]

وقد نشر هذا الديوان بعد وفاة إقبال رحمه الله عام ١٩٣٨م. نظم إقبال هذا الديوان بالفارسية والأردية على شكل رباعيات، وقد عرّبه كل من الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، والدكتور حسين مجيب المصري.

ويحتوي الديوان على خمس عشرة قصيدة تحتوي على ستين رباعية.

* **أما القصائد الفارسية فهي:**

إلى الحق، إلى الرسالة، إلى الأمة، إلى العالم الإنساني، إلى رفقاء الطريق.

* **والقصائد الأردية:**

- مجلس شورى إبليس، نصيحة بلوج العجوز لابنه، الصورة والمصور، عالم البرزخ، نداء من الغيب، الملك المعزول، مناجاة ساكن جهنم، مسعود المرحوم، صوت من الغيب، رباعيات، مذكرات ملاّ زاده، ضيغم الكشميري.

إن ديوان «أرمغان حجاز» آخر دواوين إقبال، ويحتوي على آخر أفكاره، وفيه يناجي الله عز وجل، ورسوله ﷺ، ويخاطب الأمة الإسلامية، والفتاة المسلمة.

وكشف فيه زيغ الحضارة الغربية وخداعها، وفي قصيدة مجلس شورى إبليس يوضح أن: النظام الإسلامي هو النظام الوحيد الذي يستطيع القضاء على كل الأنظمة الإبليسية: الرأسمالية، والشيوعية، والوثنية... فإقبال حتى آخر لحظة من حياته ملتزم بالإسلام، متبع إياه.

---

(١) محمد إقبال وديوان «أرمغان حجاز» (مرجع سابق).

obeikandl.com

يقول في قصيدة «إلى الحق»:

«أنا عبدك لا أبغي سوى رضاك.

ولا أسألك طريقاً لم تأمر به».

ويبين أن المسلم الحق هو الإنسان الكامل، فيقول في قصيدته "إلى الأمة":

«المسلم العارف بذاته، إنسان كامل

الذات في ترابه حاكمة محكومة.

لو تعرف أن الذات متاعك

فحرام أن تعقد على سواها اهتمامك».

وفي قصيدة «العصر الحاضر» بينَّ أثر التعليم الحديث على الشباب:

«هذا العصر معلم سيئ للشاب،

هذا العصر نهار لليلة إبليس،

أتلوى بذيله كاللهب.

فهذا العصر بلا نور ولا حرارة».

وفي قصيدة «التعليم» بين إقبال قيمة الأخلاق للمسلم:

«الأدب زينة الجاهل والعالم،

جميل من حلى نفسه بالأدب.

لا أصادق ذلك المسلم

الذي زاد علماً وقل أدباً»[1].

(١) المرجع السابق.

obeikandl.com

ب – مؤلفات إقبال النثرية:

ولإقبال مؤلفات فكرية كتبها نثراً لا شعراً، ونوردها حسب أهميتها لا حسب تسلسلها التاريخي.

١ - تجديد التفكير الديني في الإسلام

يتألف الكتاب من مجموعة محاضرات ألقاها إقبال باللغة الإنكليزية في مدراس وحيدر آباد وعليكرة خلال عامي ١٩٢٨ – ١٩٢٩م. وقد نشرت المجموعة الأولى في لاهور عام ١٩٣٠م تحت عنوان: ست محاضرات في تجديد الفكر الديني في الإسلام. ونشرت المحاضرات في جامعة أكسفورد عام ١٩٣٤م مضافاً إليها محاضرة جديدة بعنوان: هل الدين ممكن؟ وترجمت المجموعة إلى الفرنسية والبنغالية والأردية والتركية والفارسية والبشتو، وترجمت إلى العربية بعنوان: «تجديد التفكير الديني في الإسلام» عام ١٩٥٤م، وطبعت ثانية عام ١٩٦٨م.

كتب إقبال مقدمة لمحاضراته هذه بدأها بقوله: «القرآن الكريم كتاب يعنى بالعمل أكثر مما يعنى بالرأي» ويقول بعد أسطر قليلة:

«ولقد حاولت في هذه المحاضرات التي أعددتها بناء على طلب الجمعية الإسلامية بمدراس وحيدر آباد وعليكرة، بأن أحاول بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناءً جديداً. آخذاً بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام، إلى جانب ما جرى على المعرفة الإنسانية من تطوير في نواحيها المختلفة، واللحظة الراهنة مناسبة كل المناسبة لعمل كهذا»[١].

---

(١) تجديد التفكير الديني في الإسلام، لمحمد إقبال، المقدمة، الترجمة العربية، ط/١٩٧٨م.

ونلقي نظرة سريعة على هذه المحاضرات القيمة، لعلنا نتلمس بعض ماأراده إقبال في تحريك الفكر الإسلامي، وإيقاظه من سباته الطويل:

* **المحاضرة الأولى: المعرفة والرياضة الدينية:**

يبين إقبال مصادر المعرفة الإنسانية، وأن القرآن الكريم يسوي بين نواحي الإدراك الإنساني كلها في الاستمداد منها لمعرفة الحقيقة النهائية.

ويقول إقبال: ولابد من أجل إدراك هذه الحقيقة، أن يصحب الإدراك الحسي هذا الإدراك الذي يسميه القرآن: القلب.

وتكلم إقبال في هذه المحاضرة عن قيمة الإدراك الديني في المعرفة الإنسانية، وبين قدر الإلهام. وللإلهام في فلسفة إقبال مكانة عالية، وهو يرى أن الفكر والإلهام ليسا متنافرين. بل ينبعان من أصل واحد، وكل منهما يكمل الآخر، وفي الحق أن البداهة – كما يقول برغسون – ليست إلا ضرباً عالياً من التفكير[1].

* **المحاضرة الثانية: برهان الفلسفة المدرسية على وجود الله:**

وهي الدليل الكوني، ودليل العلة الغائية، والدليل الوجودي، ونقد هذه الأدلة من قبل الفلسفة الحديثة، ويصل في النهاية إلى أن حقائق التجربة تسوغ القول بأن ماهية الحقيقة ماهية روحية وينبغي أن نتصورها ذاتاً، ولكن مطمع الدين يسمو فوق مطلب الفلسفة، فالفلسفة نظر عقلي في الأشياء، أما الدين فتجربة حية ومشاركة واتصال وثيق. وينبغي على الفكر لكي يحقق هذا الاتصال أن يسمو فوق ذاته[1].

---

(١) المرجع السابق – ص ٧.

(٢) تجديد التفكير الديني في الإسلام – (مرجع سابق) – ص ٧٤.

obeikandl.com

*** المحاضرة الثالثة: الألوهية ومعنى الصلاة:**

يبيّن إقبال مبادئ عقيدة الإيمان بالله تعالى في القرآن، فيقول: إن أكبر عناصر هذا الإيمان التصور من وجهة فكرية خالصة: الحق، والحكم، والقدرة، والبقاء.

يقول إقبال في هذه المحاضرة:

«إن الحقيقة العليا ذات، ومن هذه الذات العليا تتجلى الذوات الأخرى بالخلق، والعالم في كل أجزائه، من الحركة الآلية فيما نسميه الذرة المادية إلى حركة التفكير الإرادية في الإنسان، وكل ذرة ذات حركة إلهية هي ذات مهما انحطت مكانتها في الوجود».

وينتقل إقبال إلى الكلام عن الصلاة فيقول ما خلاصته:

الدين لا يقنع بالتصور فحسب بل يطلبه اتصالاً بمقصوده، ووسيلة هذا الاتصال العبادة أو الصلاة. الصلاة وسيلة إلى استنارة روحية تعرف بها الذات الإنسانية – هذه الجزيرة الصغيرة – أنها موصولة بحياة أوسع، وكون أفسح[1].

*** المحاضرة الرابعة: الذات الإنسانية حريتها وخلودها:**

يبين إقبال كيف عمت المسلمين جبرية مشؤومة على خلاف ما عمله الإسلام وأكده من حرية الذات، ويقول: «إن هذه الجبرية التي عرفها الأوربيون في كلمة "قسمة" ترجع إلى غلبة الفكر الفلسفي، وإلى المطامع السياسية، وضعف نبض الحياة التي بثها الإسلام في نفوس المسلمين».

---

(١) محمد إقبال – سيرته وفلسفته وشعره – (مرجع سابق) – ص ١٦٠ – ١٦١.

obeikandi.com

ثم يقول إقبال:

«نشأت – على خلاف دعوة أئمة المسلمين – جبرية مهلكة، وشاعت نظرية الأمر الواقع لتحصيل منافع لبعض الناس وتيسير مطامعهم. وليس هذا أمراً بدعاً، فقد احتج فلاسفة محدثون بحجج عقلية على أن نظام رأس المال في الجماعة نظام أبدي. حدث مثل هذا في تاريخ المسلمين، ولكن درج المسلمون على التماس أدلة مذاهبهم في القرآن، ولو على خلاف معانيه الواضحة فكان للتأويل الذي يحتج به الجبرية آثار بالغة في الإضرار بالجماعة الإسلامية»[1].

* **المحاضرة الخامسة: روح الثقافة الإسلامية:**

يقول فيها إقبال: «إن ينابيع المعرفة الإنسانية ثلاثة، كما بين ذلك القرآن وهي:

- الإدراك الباطن، والطبيعة، والتاريخ. وبالاستقاء من هذه الينابيع تبلغ الثقافة الإسلامية أنضر صورها.

- وإن الفكر الإغريقي لم يحدد خصائص الثقافة الإسلامية.

- وإن فكرة ختم النبوة لم تعرف قيمتها في الثقافة الإسلامية.. إذ هي تدل على أن النبوة في الإسلام بلغت أوج كمالها.

- قد أبطل الإسلام سلطان الأحبار والرهبان، ودعا إلى الرجوع إلى العقل والاعتبار بالتجربة.

- أعظم خصائص الثقافة الإسلامية توكيدها في الأنفس "تصور عالم متحرك" وسنناً مستمرة.

---

(١) المرجع السابق – ص ١٦٢ – ١٦٣.

obeikandi.com

- ومن قواعد الهدي الإسلامي أن الأمم والجماعات مسؤولة عن أعمالها في هذه الحياة، ولهذا يكثر القرآن من قصص الماضين، ويأمر بالنظر في تجارب الأمم غابرها وحاضرها.

- ويقوم تعليم القرآن في هذا الشأن على أصلين:

الأول: وحدة الأصل الإنساني، ويبين القرآن كثيراً أن الناس خلقوا من نفس واحدة.

والثاني: قوة الشعور بأن الزمان حقيقي وتصور الحياة سيراً مستمراً في الزمان. وبإدراك قادة العقول والأرواح في الأمم حقيقة هذه الأصول الإسلامية يظفُر الإنسان بعالم للمعيشة أفضل من هذا».

*** المحاضرة السادسة: مبدأ الحركة في بناء الإسلام:**

تكلم فيها إقبال عن تصور الإسلام للعالم على أنه عالم حركة، وقال: «إن الإسلام ينكر الفخر بالأنساب، ويعترف بالأواصر الروحية، ويقرر أن حياة الإنسان روحية في كنهها، ولا يمكن التطلع إلى أساس نفساني تقوم عليه الوحدة الإنسانية إلا إذا عرفنا أن الحياة الإنسانية روحية.

وأن هذه الحياة الروحية دائمة في أصلها متغيرة في مظاهرها، فالجماعة الإنسانية ينبغي أن تقوم على أصول دائمة في عقائدها وسننها، متغيرة في مظاهرها وأحوالها.

- والحركة في الجماعة الإسلامية بالاجتهاد، وأن من أقوى أسباب ضعف المسلمين إهمال الاجتهاد وإبطاله».

*** المحاضرة السابعة: هل الدين أمر ممكن؟**

يقول إقبال: «ذلكم سؤال يشغل الإنسان في كل عصر، ولاسيما في عصرنا، والعالم كله يلتمس أساساً يبني عليه وئام الناس وسلامتهم».

obeikandi.com

ويقول: «إن الدين في أعلى صوره، ليس أحكاماً جامدة ولا كهنوتية ولا أذكاراً، ولا يتيسر تهيئة الإنسان المعاصر لحمل العبء الثقيل الذي يحمله إياه تقدم العلوم في عصرنا إلا بالدين، والدين وحده يرد إليه الإيمان والثقة اللذين ييسران له اكتساب شخصيته في هذه الدنيا والاحتفاظ بها في الآخرة.

ولابد للإنسان من الارتقاء إلى تصور جديد لماضيه ومستقبله ليستطيع التغلب على المجتمع المتنافر المتصادم، ويقهر هذه المدنية التي فقدت وحدتها الروحية بالتصادم الباطني بين الدين والمطامع السياسية.

والحق أن سير الدين والعلم، على اختلاف وسائلهما، ينتهي إلى غاية واحدة، بل الدين أكثر من العلم اهتماماً ببلوغ الحقيقة الكبرى».

هذه نظرة عاجلة في بعض ما حوته هذه المحاضرات القيمة التي تحتاج من مفكري الإسلام، والدعاة إلى الله، في هذا العصر العناية بها، وتحليل أفكارها، والاستفادة منها.

٢- علم الاقتصاد:

نشر هذا الكتاب لأول مرة في لاهور سنة ١٩٠٣م، وقام بنشره مرة ثانية السيد ممتاز حسين تحت إشراف (أكاديمية إقبال) بكراتشي سنة ١٩٦١م.

ألفه إقبال بالأردية، وأصله محاضرات كان يلقيها في الكلية الشرقية بلاهور قبل سفره لاستكمال دراسته في أوروبا، وكذلك ألقى بعض مادته في جامعة كمبردج[١].

(١) العلامة محمد إقبال – أحمد معوض – ص ٢٢٦.

٣- تاريخ الهند:

هـذا الكتـاب ألفه إقبال مع (لاله رام برشـاد)، بالأردية، وقد نشـر في مدينـة أمرتسـر سـنة ١٩١٣م، ويضـم الكتاب سـيرة الهنـد وأحوالها في الماضي والحاضر، وعرضـها للأماكن التاريخية المشهورة، وتقسيم البلاد قديماً وحديثاً حتى نهاية القرن التاسع عشر، وعلوم السنسكريتية وآدابها، وعلوم المسلمين وآدابهم[١].

٤- الترجمة والتلخيص بالأردية لكتاب:

(تاريخ بريطانيا القديمة للمستر أستوب).

٥- الترجمة والتلخيص بالأردية لكتاب:

الاقتصـاد السياسـي للمستر ووكر (والكتاب بشكل مذكرات للطلبة ولم يطبع).

٦- أردو كورس (منهج دراسة الأردية):

ألفه إقبال بالاشتراك مع الحكيم أحمد شجاع لتعليم الأردية بالمدارس المتوسطة، ونشرت الأجزاء الثلاثة في لاهور سنة ١٩٢٤م.

٧- آتينة عجم (مرآة العجم):

مختارات من الشعر والنثر الفارسي جمعها إقبال لطلبة الثانوية، ونشر الكتاب في لاهور سنة ١٩٢٧م[٢].

---

(١) المرجع السابق – ص ٢٢٨.

(٢) المرجع السابق.

obeikandl.com

٨- تطور الميتافيزيقا في فارس:

وهذا الكتاب، رسالة إقبال بالإنكليزية، قدمها إلى جامعة ميونخ لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة، وقد نشر لأول مرة سنة ١٩٠٨م، وترجم إلى الأردية والفارسية والبنغالية[١].

٩- خواطر شاردة:

يحتوي الكتاب على ١٢٥ خاطرة في موضوعات متنوعة في الأدب والشعر والتاريخ والفلسفة والاقتصاد والثقافة. جمعها ولده جاويد إقبال ونشرها بلاهور سنة ١٩٦١م[٢].

١٠- مقالات وخطب إقبال (بالإنكليزية والأردية):

وقد كتبت وألقيت في مناسبات متعددة منها:

١- مبدأ الوحدانية الإلهية عند الشيخ عبد الكريم الجيلي، مقالة نشرت سنة ١٩٠٠م.

٢- الإسلام كمثال خلقي وسياسي (محاضرة ألقاها في حفل جمعية حماية الإسلام السنوية، ونشرها سنة ١٩٠٩م).

٣- مسح اجتماعي للأمة الإسلامية: (محاضرة ألقاها بجامعة عليكرة سنة ١٩٠٠م).

٤- الفكر السياسي في الإسلام مقالة (بالإنكليزية نشرت في سنة ١٩١١م).

---

(١) المرجع السابق – ص ٢٢٩ – ٢٣٠، وكتابيات إقبال للهاشمي – ص ١٧.

(٢) انظر: إقبال والحضارة الغربية (رسالة دكتوراه) خليل الرحمن عبد الرحمن ١٢٢ – ١٢٣ نقلاً عن stray reflection محمد إقبال و " كتابيات إقبال " للهاشمي ٣٤.

obeikandl.com

٥- مقـالات متعـددة للـرد على القاديانية نشـرت في الثلاثينـات من هذا القرن.

٦- خطب متعددة ألقاها في المؤتمر الشـرقي الهندي بلاهور سنة ١٩٢٨م، وفي الدورة السـنوية للرابطة الإسـلامية لعموم الهنـد – في مدينة إله آباد سـنة ١٩٣٠م، وخطبة الرئاسـة للمؤتمر الإسـلامي بالهند ألقيت بلاهور في آذار (مارس) ١٩٣٢م.

٧- أحاديث وبيانات سياسـية قدمها بصفته عضـواً في المجلس التشريعي للبنجـاب خلال سـنوات ١٩٢٦ – ١٩٣٠م، وأحاديثه بمناسـبة مؤتمر المائدة المستديرة الثاني والثالث المنعقدين بلندن خلال سنوات ١٩٣١-١٩٣٢م، وهو بياناته خلال الفترة الأخيرة من حياته:

- مقالة في الرد على مقترحات مولانا حسين أحمد المدني التي ظهرت تؤيد اتحاد الشعب الهندي على أساس الوطنية.

- وحديث بمناسـبة بدء العام الميلادي الجديد أذيع من محطة لاهور في أول كانـون الثاني (ينايـر) ١٩٣٨م. إلى جانب مقالات وأحاديث كثيرة جمعت بعد وفاته رحمه الله، وهي:

* مضـامين إقبال: للسيد تصدق حسين تاج. نشرت في حيدر آباد، دكن، سنة ١٩٤٧م.

* حرف إقبال: للسـيد لطيف أحمد شـيرواني. نشرت بلاهور سنة ١٩٤٧م.

* مقالات إقبال: للسـيد عبد الواحد معيني. نشـرت بلاهور سـنة ١٩٦٣م.

obeikandi.com

* كفتار إقبال: (حديث إقبال) للسيد محمد رفيق أفضل. نشرت بلاهور سنة ١٩٦٩م.
* أوراق كم كشته (الصفحات المفقودة) للسيد رحيم بخش شاهين، نشرت بلاهور سنة ١٩٧٥م[١].
* أحاديث إقبال وكتاباته وبياناته (بالإنكليزية) للسيد لطيف أحمد شيرواني "شاملو"، ثم نشرت مع الإضافة والتعديل سنة ١٩٧٧م.
* أفكار إقبال وخواطره (بالإنكليزية) للسيد شاهين حسين رزاقي. نشرت بلاهور سنة ١٩٧٩م.

١١- رسائل إقبال:

وَجَّه إقبال – وهو الشخصية الفاعلة المتحركة التي تتفاعل مع حركة المجتمع الفكرية والسياسية – رسائل متعددة تزيد على ألف رسالة إلى الأصدقاء والعلماء والمفكرين والأدباء والزعماء السياسيين وغيرهم، إذ يزيد عدد من أرسل إليهم إقبال على مئة وخمسين شخصية، وتعبر هذه الرسائل عن شخصيته وفلسفته في الحياة. وقد جمعت هذه الرسائل ونشرت بعد وفاته رَحِمَهُ اللهُ، وهي حسب ترتيب نشرها الزمني:

١- شاد إقبال: نشرت بحيدر آباد، دكن، سنة ١٩٤٣م، رتبها الدكتور محيي الدين قادري زور، تحوي تسعاً وأربعين رسالة، وجهها إقبال إلى صديقه السير كشن برشاد شاد.

٢- رسائل إقبال إلى جناح: تضم ١٣ رسالة بالإنجليزية، وجهها إقبال

(١) انظر كتابيات إقبال ص ٢٤ – ٢٥ و (إقبال سياكي لئي) ص ٦٠-٦١.

obeikandl.com

إلى القائد محمد علي جناح خلال الفترة ما بين آيار(مايو) ١٩٣٦م وتشرين الثاني(نوفمبر) سنة ١٩٣٧م، وقد نشرت لأول مرة سنة ١٩٤٣م.

٣- إقبال نامه(الجزء الأول): رتبها الشيخ عطاء الله، ونشرت بلاهور سنة ١٩٤٥، وتتضمن ٢٦٧ رسالة موجهة إلى أشخاص متعددين.

٤- رسائل إقبال إلى السيدة عطية فيضي: نشرت بدلهي سنة ١٩٤٧م، وتحتوي على عشر رسائل(بالإنكليزية).

٥- إقبال نامه(الجزء الثاني): نشرت بلاهور سنة ١٩٥١م، تحتوي على ١٨٧ رسالة موجهة إلى أشخاص متعددين.

٦- رسائل إقبال إلى خان نياز الدين خان: نشرت بلاهور سنة ١٩٥٤م، وتضم ٧٩ رسالة، وخان من أصحاب العلم والثروة في بلدة جالندهر.

٧- رسائل إقبال إلى السيد نذير نيازي: نشرت بكراتشي سنة ١٩٥٧م، تضم ١٧٩ رسالة – ونذير نيازي صديق إقبال، وهو أستاذ سابق في الجامعة المِلِّية بدلهي.

٨- أنوار إقبال: وتضم ١٨٥ رسالة – نشرت بكراتشي ١٩٦٧م.

٩- رسائل إقبال وكتاباته(بالإنكليزية): وتضم ٤٣ رسالة نشرت بكراتشي سنة ١٩٦٧م.

١٠- رسائل إقبال إلى السيد كرامي: وتضم ٩٠ رسالة من إقبال إلى صديقه الشاعر الفارسي مولانا غلام قادر كرامي – نشرت بكراتشي ١٩٦٩م.

١١- نوادر إقبال: وتضم ٥٠ رسالة، ونشرت سنة ١٩٧٥م.

obeikandl.com

١٢- خطوط إقبال: وتضم ١١١ رسالة – نشرت بلاهور سنة ١٩٧٦م.

١٣- روح مكاتيب إقبال: جمعها ورتبها ولخصها محمد عبد الله قريشي – وتضم ١٢٣٣ رسالة[١].

هذه هي مجموعات رسائل إقبال التي كشفت حتى الآن، وأغلب هذه الرسائل موجزة مختصرة، عدا الرسائل الشخصية والعلمية والفكرية، وهي مكتوبة بلغة سهلة ميسرة الفهم.

وإقبال رحمه الله فضلاً عن هذه المؤلفات الشعرية والنثرية كان يفكر في تأليف كتب عدة وفي موضوعات متعددة نوه عنها في رسائله الكثيرة، وعزم إقبال على تأليف هذه الكتب دلالة على صدق إسلامه وحبه في الإصلاح وتقدم العالم الإسلامي، ومن أهم هذه المؤلفات:

١- شروح للقرآن الكريم.
٢- تاريخ الفقه الإسلامي وتجديده.
٣- تاريخ التصوف.
٤- مستقبل الإسلام.
٥- نقد فصوص الحكم لابن عربي.
٦- سيرة القلب والفكر.
٧- تاريخ الأدب الأردي[٢].

(١) المرجع السابق ، نقلاً عن مقدمة "خطوط إقبال" لرفيع الدين الهاشمي، ومقدمة روح مكاتيب إقبال لمحمد عبد الله قريشي – الناشر إقبال أكاديمي لاهور سنة ١٩٧٧م، وإقبال داناي راز "للسيد الأعظمي" ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) محمد إقبال والحضارة الغربية (مرجع سابق) - ص ١٢٨.

obeikandi.com